دلالة المصدر في التعبير القرآني دراسة المعنى الصرفي ومعطياته التفسيرية-فعلان وأنواعه

رياض كريم عبد الله البُديريّ
جامعة الكوفة/كلية الآداب
reiadkareem@gmail.com

(أنواع المصدر فعلان،وزنه،معناه وقياسه،دلالاته،قراءة المعنى الصرفي للمصدر فعلان ومعطياته التفسيرية الاستقراء والنتائج،استعمال المصادر المتعددة(متحدة الجذر مختلفة البنية والدلالة)،نيابة مصادر أخرى عن فعلان)

الملخص

إنّ مصادر الأفعال متنوعة الأبنية الصرفية فقد يتحد مصدران أو أكثر في الدلالة على حدث واحد باختلاف وزنهما الصرفي، نحو:(فعل) فعال،فعالة،فعلان وغير ذلك وعند دراسة هذه الأبنية الصرفية توضّح أنّ(فعْل) المصدر باختلاف حركة الفاء يدل على الحدث المجرد عن قيد الزمن والفعالية.

فإذا أُريد المبالغة فيه بما يزيد على دلالة(فعْل) زِيد في بنائه نحو:خَسِرَ خَسْراً أو خُسْر أو خُسُراً، فإذا أريد زيادة في الدلالة على المبالغة قوبلت هذه الزيادة بزيادة حروفه مما يوحي بالمبالغة فقيل(خساراً)والألف حرف مدٍّ(ليِّن) يستغرق نطقه من الزمن ما يدل على المعنى المقصود من المبالغة من وقوع الخسارة،مما يترشح عند الباحث أنّ دلالته من حيثيات الصيغة الصرفية نفسها،مزيدا عليها دلالته اللغوية، ومستوى الأداء الصوتي من حيثيات الزمن المستغرق والصفات الصوتية التي مرجعها طبيعة الحروف.

فإنْ أريد زيادة معنى المبالغة وتغيير جهة المعنى بأنْ يشتمل على الحركة والاضطراب والهيجان على حد معنى الغليان والطيران.قيل فَعَلان،خُسْران وعدوان،ورضوان وهيجان وبهتان،ونحوها. ويلحظ الصرفيون والمدققون في المعاني،أنّ معنى الحركة والاضطراب الذي في(فعلان) مستنبط من بناء الكلمة ومعناها اللغوي كالقفزان،والنقزان، والهيجان،والنفيان،والغليان.ثم جعل هذا المعنى واطراده في ما كان دالا على الحركة والتقلب والهياج فجعل في كلام العرب هذا المعنى لهذا الوزن حتى يكون ذلك بابا من المعنى يقاس عليه في صياغة الألفاظ المراد الدلالة فيها عليه والتي تشترك وإياه من حيثيات معناها المعجمي.

الكلمات المفتاحية:التعبير القراني،المعنى الصرفي، فعلان وانواعه.

Abstract

The resources of verbs are varied according to structure and syntax. Sometimes two resources unite to point to one incident in spite of the difference in their syntax weight. For example(Fial) Fiaal, Fiaala, Fialan

and soon. Studying such syntax building shows that the verb (Fial) of the resource, with the difference of the letter(F)movement identifies the incident regardless time and action.

If exaggeration is wanted to refer to more than (Fial)an increase in the building should be done, like(Khasir, Khusran, Khusr, Khusura).If the exaggeration is wanted,an increase in letters should done like(Khasaran)because the extension in uttering of(loss:khsara).If more exaggeration is wanted and to give another meaning and to refer to movement, confusion, frenzy like the meaning of(toling: Galian/ flying: Tayaran) we must say (Fialan/Khusran/Udwan/ Ridwan/ Buhtan/ Hayajan) and so on.Grammerians and linguists notice that the movement and confusion in found in(Fualan) are taken from word building and its lirguistic meaning like: Kufzan, Nekzan, Hayajan, Nefyan, Galyan, then using the meanings that refer to movement, charging and frenzy. So,meanings in Arabic language are given different weights and the weight(changing) in utterance has become a standard to be used in language to give different meanings and words.
Keywords: Qur'anic expression, meaning morphological, Flan and types.

بسم الله الرحمن الرحيم

١- المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين على جميل آلائه،وعلى ما أسبغ من نعمائه،وأوفر من إحسانه ومنّه، وعجّل من موفور رحمته،وأبطأ من استحقاق عقابه،وأخر من حسابه،وصلى الله على محمد وآله الطاهرين،وسلّم تسليما كثيرا.لعل خير ما نعرّف به الصرف أنّه نظرٌ في بنية الألفاظ وأصولها (مصادرها) واشتقاقها وتقلبها في الأوزان الصرفية الدالة على المعاني كلٌ بحسبه خارج السياقات الفنية في التعبير.

وقد جرت هذه الدراسة بحثا في الدلالة الصرفية واستنطاقها للكشف عن المعنى الذي يفتح أفقا تفسيريا للنصوص،ويراد لها أنْ تكون نظرا في تغيّر نظام البنية الصرفية للألفاظ داخل السياقات الفنية،أيْ:في دلالة البنية الصرفية وتقلبها في الميزان الصرفي في التعبير بصيغة الفعل مرة وبصيغة المصدر أخرى وثالثة بصيغة فعْل أو فعال أو فعولة أو فعلان،ونحو ذلك بحسب مقتضيات المعنى المقصود مما يدلّ على أثر البنية الصرفية في التعبير عن المعنى داخل الخطاب القرآني. ولذلك فهذه الدراسة،في الحقيقة،محاولة في تخطي(تغيير)نظام النظر في الدراسات الصرفية الأخرى للعبور إلى الجانب الآخر في النظر الدلالي،وتنوعه.

هكذا يبدو لي ما يجب أنْ يكون عليه الدرس الصرفي الحديث.فإنّي أرى البنية الصرفية للألفاظ تمثل نقطة المركز الدلالي في أداء المعنى،وهي مشحونة بأنواع المعاني التي تفيض ضوءاً لقراءة الدلالة السياقية للنصوص مما يعد تفسيرا.وما كتب في الدرس الصرفي مما

يخصّ المصدر ما لم يتخطّ حدود جمع الأقوال والتأليف بينها من دون توظيفها لفكرة معينة،كما لم يكن لها نصيبٌ من الكشف عن المعنى السياقي للصيغة الصرفية من حيثيات كونها مركزا دلاليا للكشف عن أفق في تفسير النصوص.ومن تلك الدراسات السابقة في المصدر وهي تقليدية تجميعية(تكريرية) ما كتبته الدكتورة وسيمة المنصور سنة ١٩٨٤ في(أبنية المصدر في الشعر الجاهلي) فكانت دراستها تشتمل على الجمع والتصنيف فحسب،وما كتبه الدكتور عامر عيدان اللامي في كلية الآداب/الجامعة المستنصرية سنة ١٩٩٣م في رسالته على الماجستير بعنوان(المصادر في القرآن الكريم/دراسة صرفية)،ومن تبعه في دراسة المصادر كالدكتور سليم عبد الزهرة الجصاني في رسالته للماجستير في كلية التربية/الجامعة المستنصرية بعنوان(المصدر في القرآن الكريم/دراسة نحوية)سنة ١٩٩٧م،وتبعته تترسم خطاه الدكتورة زينب كامل الويسي في دراستها على الدكتوراه في كلية الآداب/الجامعة المستنصرية لسنة ٢٠٠١م،بعنوان (المصادر في القرآن الكريم/دراسة نحوية دلالية) فلم تتجاوز هذه الدراسات حيّز الجمع وتكرار أقوال العلماء،وإنّي لأدعو الباحثين إلى العبور على هذه الحدود بعد اتقانها والنظر إلى البنية الصرفية كونها أفقا دلاليا يمكن الباحث استشرافه واستنطاق النص بالمعنى المقصود.

ومن هنا،لا يبدو المنهج الذي أدعو إليه في الدراسة الصرفية(المعاصرة) تمرداً على الأشكال والدراسة الصرفية القديمة وطرائقها بل هو امتدادٌ لما بدأه القدماء يساير تخطي عصرنا الحاضر وتجاوزه للعصور الماضية.

إنّ للدراسة الصرفية بهذا المعنى،حقيقتها الخاصة،حقيقة المعنى السياقي الذي لا يعرف الذهن التقليدي أنْ يراه في ضوء المعنى الصرفي ولا يستطيع أنْ يتلقفَ معطياته التفسيرية في الخطاب القرآني،إنَّ الذي يستطيع الانطلاق بلحظة من هذا المعنى الصرفي وبهذه السرعة هو الذي يرى هذه الحقيقة ويكشِفُ عنها.لست أدعي أنّني الأول،أو الوحيد الذي يسير على هذا المنهج.فهناك لمحات جيدة لأفاضل من أساتذة الجامعات المعاصرين،يحمدون عليها.وهو ضوء أوليٌّ في رؤية هذه الحقيقة. إنّ حاجة طلاب الدراسات العليا اللغوية العلمية التي تقتصر على معرفة قواعد اشتقاق اسم الفاعل،وأحرف الزيادة ومعانيها،وغير ذلك.طبعت عاداتهم الفكرية بطابع نهاية هذا العلم فصارت تحول بينهم وبين رؤية الحقيقة التي أدعو إليها،وإمكان صيرورة التفسير في الخطاب القرآني أحد معطيات المعنى الصرفي وهذا ما تروم هذه الدراسة إثباته،والوقوف عليه في ضوء التطبيق المعرفي إذ تتحول المعارف فيها آلة فك رموز الخطاب القرآني،لا العكس بأن يتخذ الخطاب القرآني مؤيداً لحجج البلاغيين والنحويين زيادة على كونه كذلك في تفاسير المعتزلة والصوفية وغيرهما.

يراد لهذه الدراسة أن ترى المعنى الصرفي حقيقة تفسيرية ينفذ إليها من فلكه.والناظر في هدي هذا المنهج لا يرضى بالمعنى الذي تضفيه على الخطاب القرآني العادة العلمية في

معرفة قواعد الصرف والنحو والبلاغة مهما كان ذلك المعنى مقيداً،فإنّه يعمل على محاكمته وابتلائه ويبحث للخطاب عن معنى آخر تضفيه الصيغة الصرفية وتكون هي مفتاحه بمعناها الصرفي.

كلّنا يعرفُ **أنّ المصدر اسمٌ يدلُ على الحدث** نعم..وماذا بعد ذلك؟إنّ هذه عادة تقليدية يجب التمرد عليها والبحث عن إجابة السؤال؛وماذا يعني وجوده في السياق؟.

إنني هنا لا أتهم الدراسة التعليمية بالقصور فثمة مسافة شاسعة بين القصد التعليمي والتوجه إلى النظر في الدلالات الخفية العميقة للألفاظ ضمن السياق،فالقصد التعليمي يضع الخطوة الأولى في طريق النظر،أمّا التوجه الآخر فميدانه مُختلفٌ وكلاهما ضروريّ ومطلوب.غير أنّه لا يجوز البقاء على القصد التعليمي أبدا فالدراسة التي تمكث عليه تأتي تقليدا للخطى وتكرارا للأقوال وليس توظيفا لها والفرق بينهما واضح.ومن هنا تبتعد هذه الدراسة عن التقليد والعادة بتوظيف النصوص العلمية لقواعد الصرف،بما يعود عليها بالحيوية والرونق ويصبح دور هكذا نظر،عندها،أن يوقظه من النوم على كلمات القدماء وتقديمها وتناقلها،لا عن قصد الجديد.وإنما للغرض نفسه الذي وضعت له،ولملء سطور مجموعة من الورق يكون بحثاً يُكتَبُ عليه اسمٌ ما.

ينبغي أن يتخلص المرء من الأفكار المشتركة فإنّها ضيقة جداً،وينطلق إلى الإبداع الفكري الرحب.إنّ العادة والألفة تحجبان الإبداع،والخروج منها،لا التمرد عليها، يكشف وجه المعنى المخبوء تحت السطور ويكشف علائقه الخفية وإيحاءاته النفسية.إنّنا نستعمل لغةً،تبدو،أول ما تبدو أنّها تنطوي على تمردً،إنّها لغة ملائمة للتعبير عن الإحساس بالقعود عن اكتشاف الجديد في هذا الدرس وتضييع معانيه التي تلقاها النفس بأروع نشوة العلم بعيداً عن تداعيات الفكر ونزواته.هذه هي مهمة الدّلالة الصرفية في هذا البحث في الوقوف على المعنى الصرفي.والفروق في التعبير بين استعمال مصدر الفعل(عدا) مثلاً إذ استعمل في القرآن(عدوان،عداوة،عدواً) واستعمل للفعل(غلى) مصدره فَعْلاً(غلياً) ولم يقل غلياناً.وكذلك الفعل سال سيلا ولم يأت سيلانا.في حين استعمل للفعل(خسر) خُسراناً وخساراً وخسرا.فهذه الأبنية وغيرها مما يرد في البحث هي موضوعه في دراسة الفروق اللفظية،وما يكون عليه المعنى مع كل استعمال منها.

لقد جرى شأن القرآن على مغايرة الصيغ لتغاير المعاني؛ذلك بأنّ الأبنية الصرفية في اللغة العربية تتمتّع بمعانٍ خاصة بها وهي مفردة خارج السياق الخطابي،وقد تدل في ضوء تلك المعاني على معنى آخر ينشأ عن موضوع السياق مما قد يكون تفسيراً للآية نفسها،فيكون هذا المعنى من معطيات البنية الصرفية ومعناها،وشغل هذه الدراسة الشاغل تأكيد ذلك وتطبيقه في النصّ القرآني.

٢ – أنواع المصدر فَـعَـلان ودلالته

أ – **توطئة:** المصدر هو اسم دال على الحدث من غير قيد الزمن،أو إشارة إلى الفاعل ونحوه،فدلالته،إذن،مطلقة،فسمّاه سيبويه(ت١٨٠هـ)باسماء الأحداث،وأسماه المبرّد (ت٢٨٥هـ)اسم الفعل[١].وهو يعني أنّه اسمٌ للحدث الذي في الفعل.وهو أصل المشتقات بحسب ما يراه البصريون خلافاً للكوفيين وذلك مبسوط في مظانه بما تغني شهرته عن إعادته هنا[٢]((لأنّ الخلاف بين العلماء في هذه المسألة وقع في القول ولم يقع في العمل والإعلال،فالفعل أصل فيهما للمصدر كما هو معروف))[٣]ولم يعد البحث في هذه المسألة نافعا.

درس العلماء الفاظ المصادر فوجدوا كل قسم منها ينضوي تحت وزن من أوزانها الصرفية ويدل على معنى يكاد يطّرد فيه وكان فُعال للأدواء والأصوات،كصراخ وزكام،وفَعَلان للحركة والاضطراب كغليان،وهيجان،وفعول للعلاج كبروء،وفعُولة للدلالة على المعنى الثابت كرعونة، وفِعالة لما دلّ على حرفة كسباحة ووزارة،وجعلوا فِعال لما دل على امتناع كشماس(يقال للفرس يمنع ظهره).وللسير فعيل نحو:دبيب ورحيل ونحوهما.

وجعلوا هذه المعاني قياساً يصاغ عليه المصدر،وضابطاً له كقولهم ما كان يدل على حرفة فقياس مصدره فعالة كزراعة،وقولهم ما دلّ حركة واضطراب وهيجان فقياسه فعلان،وهكذا قولهم في بقية معاني أبنية المصادر[٤]مما يعني أنّ المتكلم متى أراد التعبير عن معنى الحرفة صاغ له صيغة فعالة كالنجارة،والحركة والاضطراب فعلان.وهذا يدلّ على عناية علماء العربية بمعاني الأبنية بالاستقراء.

وقد عرض العلماء للقياس في اللغة مما جمعه السيوطي(ت٩١١هـ)في اللغة:إنّها وُضعت وضعا نقليا لاعقليا،فلا يجوز القياس فيها بل يُقتصرُ على ما ورد به النقل. ومن هنا صار علماء اللغة يميلون تجاه السماع في اللغة فقالوا:إنّ مصادر الثلاثي مصادر سماعية في الغالب،والمقصود بذلك أنّ المصادر لا يعرف غالبها إلا بالرجوع إلى كتب اللغة المختلفة لضبطها واستعمالها كما استعملها العرب الفصحاء فقد يكون للفعل الثلاثي مصدران أو أكثر،وقد رجع بعضها إلى عشرة مصادر[٥]بحسب المعنى المقصود مما يبدو للباحث معه أنّ القول بمنع جريان القياس في اللغة بالنسبة للمسميات من حيثيات الوضع فقط،وليس لاشتقاق صيغ بناء اللفظ صرفيا لانطواء المنع على الجمود

وعندما ننظر إلى ما صرّح به ابن جني(ت٣٩٢هـ)بأنّ القياس لا يمنع من ذكر مضارع الفعل(عار)في قولهم:لا أدري،أيّ الجراد عاره؟وإنْ لم يرد به سماع. والقياس لا يمنع من ذكر حرف التعريف مع لفظ(أمس)مرادا به اليوم الذي قبل يومك،وإنْ لم يرد به سماع،نجد أنّه يمكن القول:إذا جاز بناء ضرب على وزن جعفر وأقر العلماء وابن جني وأبي عليّ الفارسي بقياسيته وجوازه وكونه من كلام العرب على الرغم من عدم سماع ضربب ودخلل وخرجج ونحوها في الاستعمال فجواز صياغة فعلان لمعنى الاضطراب

والهياج أولى لتعبير الصيغة عن المعنى المنحصر فلا توجد صيغة صرفية غيرها تعبر عن هذا المعنى.

وقد صرّح بذلك السيوطي وهو يوضح منع القياس في اللغة فقال:((إنّها وُضعت وضعا نقليا لا عقليا،فلا يجوز القياس فيها بل يُقتصرُ على ما ورد به النقل،ألا ترى أنّ القارورة سُمّيت بذلك لاستقرار الشيء فيها،ولا يُسمى كلّ مُستقرّ فيه قارورة، وكذلك سُمّيت الدارُ دارا لاستدارتها،ولايُسمّى كلّ مستدير دارا))[٦]وذلك المنع سليمٌ عقلا لوقوع التنافي بين القياس وحكمة الوضع فيه.ولكنّه لايجري عندي على قياس صيغ اللغة الصرفية وقد أورد ابن جني ما يشير إلى أنّ القياس طريق في تثبيت اللغة وسيأتي بيانه.

ومن هنا يبدو أنّ تعدّد المصادر للجذر اللغوي الواحد ناتجٌ عن اختلاف دلالة كلّ منها في كلام العرب.ويمكن ضبط قياس هذا النوع من المصادر بحسب معانيه بنتائج الاستقراء فكلّما أراد العرب التعبير عن معنى الهيجان والاضطراب صاغوا لهذا المعنى صيغة فعلان.

وإنّما يجوز القياس في هذا كما جاز الخروج عليه رعاية للمعنى في نحو ما ذكره ابن مالك في إيثار صيغة على صيغة وإنْ خالف ذلك القياس،وذلك كإيثارهم جمع الكثرة على القلة في موضع يستحق فيه جمع قلة كاستعمال قروء في قرء بدل أقراء قياسا على فلس فلوس،وشسع شسوع وقياسه أشساع،كقفل أقفال؛وإنّما جاز ذلك لخروجه على القياس[٧]؛فكما جاز في هذا ونحوه الخروج على القياس،ألا فليجز صوغ فعلان قياسا لطرد باب معنى الاضطراب والاهتزاز،ولاسيما أنّ مجموعة من الباحثين أجازوا القياس في غير موضع من اللغة وبنائها الصرفي كدعوى المجمع العلمي اللغوي في القاهرة إلى جواز القياس على صيغ المبالغة[٨].

يعمد الخطاب القرآني إلى التعبير بالمصدر مع إمكان التعبير بالفعل مثلا،وذلك لقصد المعنى من المصدر بحسب موضوع الآية فتجد التعبير بالمصدر وبالفعل من الجذر اللغوي نفسه ولاشك أن ذلك لقصد المعنى الموضوعي وحكمه العبادي التكليفي أو الإرشادي فيستعمل لفظ المصدر فيما يكون ثابتا ويستعمل لفظ الفعل فيما يكون متزلزلا.

ومن هنا يتضح الفرق في استعمال الخطاب القرآني بتنوع الصيغ الصرفية من غير حاجة إلى التأويل الذي يضيع حقيقة المعنى الموضوعي للآية منه تقدير الحرف(في)من قوله تعالى:{لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}(البقرة٢٢٦- ٢٢٨)فيكون المعنى بتأويل الظرف من التربص ولم يتعرضوا للمعنى في استعمال الخطاب القرآني بنية المصدر مرة واحدة في هذا الموضوع واستعمل صيغة الفعل

مرارا وهو واضح في سياق الآية محل البحث فالتقدير عند النحويين في أربعة أشهر[٩]على معنى الظرفية.

والمعنى- عندي- أنّه استعمل المصدر وهو اسمٌ للحدث والاسم دال على الثبات، أيْ:ثبوت حكم الايلاء؛لكنّه استعمل الفعل مع السياق نفسه لاختلاف الموضوع لدلالة الفعل على التزلزل والتحرك فالمطلقة غير ثابتة الطلاق حتى تمضي مدة عدة الطلاق وهي(ثلاثة أشهر)فيمكنُ أنْ يراجعها الزوج ويمكن أن يمضي الطلاق فهي تترقب على التأرجح بين الحالين وهذا المعنى يتلاءم معه الفعل.

لكنها في الحالة الأولى من الايلاء ما زالت ثابتة على ذمته وهي غير محرمة عليه وهو الذي يتربّص لمضي المدة كاملة في ثبات الكفارة عليه والرجوع أو الامضاء وثباته عليه وفي حقه فالمصدر يدل على ثبات الحكم وتعلقه بذمته في حال الايلاء وهو من قبيل تضمن معنى العقاب له مما لايتيح معنى(في)إذ يكون المعنى مع تقدير الظرف بواسطة الحرف(في)أنّه يمكن أن يتربص يوما أو أكثر أو أقل لكن التربص المقصود في معنى الآية أربعة أشهر كاملة ثابتة الحكم عليه بخلاف المطلقة فقد تكمل التربص مدة أربعة أشهر أو تقطعها بمراجعة الزوج لها.

فإنّ الاستعمال الصرفي تابع للمعنى ومبين عن مقام الخطاب من ذلك،أيضا، استعمال الفعل(ارتد) فعل شرط في قوله تعالى:{وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ}(البقرة٢١٧)فاستعمله بفك الإدغام (يرتدد) واستعمله في المائدة فعل شرط،أيضا،مع الإدغام (يرتدّ)،والقياس فيه من جهة الصناعة أنّ التضعيف يفكّ بسبب الجزم بالشرط،أو يبقى على الإدغام مع تحريك الحرف الثاني بسبب التقاء الساكنين على المشهور مما حكاه العلماء كالحلبي،وسيرد.

وبالرجوع إلى الفرق بين الاستعمالين لم نجد من العلماء من فسّره دلاليا من ذلك ما ذهب إليه الاخفش (ت٢١٥هـ) بتفسيره على حسب لغات العرب وأنْ الإدغام أكثر فقال:((فضعّف؛لأنّ أهل الحجاز إذا كانت(لامُ)الفعل ساكنة ضعّفوا، وهي، ههنا، ساكنة،أسكنها الجزاء،وقال:(ومن يرتدّ منكم عن دينه فسوف/المائدة٥٤)فلم يُضاعف في لغة من لا يضاعف؛لأنّ من لايضاعف كثيرٌ))[١٠]وهو تفسير ليس لنا اختبار مدى صحته.

لكنّ السياق يختلف وهو المؤثر في اختيار احدهما ففكّ الادغام تطويل للمساحة الصوتية في النطق،وثقل في الأداء الصوتي،مما ينعكس على دلالة الفعل؛لأنّ ذلك يناسب مقام الخطاب الذي يعرضه السياق وهو القتال والاستمرار فيه بالنسبة للآية في سورة البقرة،فالمؤثرات كثيرة وكبيرة مما يحتاج عدم الارتداد إلى طول مقاومة،فهذه مناسبة ما بينهما من الطول.

وفي المائدة كان الخطاب في معرض التنظير للثواب وبيان المنهج من دون القتال قال:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}(المائدة٥٤)فمقام المخاطب مختلف عمّا في البقرة من طول السياق،ودلالات اللفظ الموجبة من المحبة والجهاد والعزة بينما المذكور في البقرة أفعال الكفار والمنافقين وكان سياق الخطاب طويلا قال:{يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}(البقرة ٢١٧)بينما المقام في الخطاب الذي في المائدة كان مع المؤمنين بلفظ الخبر،وذلك يتضح جليا من خاتمة الخطاب.

وهذا المعنى لم يترشح عن تفسير علماء اللغة فقد أغفل الزجاج(ت٣١١هـ)فيه الدلالة قال:((جزم بالشرط والتضعيف يظهر مع الجزم،لسكون الحرف الثاني،وهو أكثر في اللغة،وقرئ(من يرتدّ)– يقصد المائدة– بالادغام والفتح وهي قراءة الناس إلاّ أهل المدينة،فإنّ في مصحفهم من يرتدد وكلاهما صواب،والذي في سورة البقرة لايجوز فيه إلاّ من يرتدد لاطباق أهل الأمصار على إظهار التضعيف وكذلك هو في مصاحفهم،والقراءة سنّة لاتخالف))(١١)وعلى هذا النحو من عدم إفادة معنى يدلّ على الفرق بينهما ما ورد عن الزمخشري والسمين الحلبي وغيرهما.(١٢).هذا من جهة.

ومن جهة أخرى،يرجع أمر هذه المسألة إلى المعنى من إعمال أداة الشرط واهمالها ففي البقرة كان المقام ترجمة للعنف والقوة وكان خطابا للكفار وخطابهم مما يحتاج إلى القوة فكان إعمال الشرط موجبا لمعنى القوة وأنّ الجزم قطع يحمل مؤشرا دلاليا،وكان الخطاب في المائدة مع المؤمنين لتقوية الايمان وترسيخ العزم على البقاء عليه فكان عدم إعمال الشرط موجبا ولو أعمل لساوى بين المؤمن والكافر في الخطاب وكان إعمال الشرط سالبا.

فالآية في البقرة على التهديد من تعلق الجواب بالشرط على حدّ الجزاء مما يترجم معنى القوة في النفس،والتي في المائدة تظهر بصورة الشرط من دون إعماله ليترجم السياق معنى القوة بما يتلاءم والمحبة والعزة ومقام المؤمنين فجاء الشرط عند عدم إعمال أداته بنحو الخبر المجرد عن القوة.لقد كانت البنية الصرفية هي الطريق لأداء دلالة القوة بأسلوب الشرط،واللين بعدمه ولم يكن لغير البنية الصرفية أن يؤدي هذا المعنى لوجود العلامة بالتضعيف زيادة على العلامة الاعرابية لعدم إمكان ظهور العلامة الاعرابية النحوية (السكون) بالجزم على الفعل المضعف من دون فكّه.

ومنه آية يطهَرن ويطّهرن وتعلق الحكم الفقهي به من جهة البناء الصرفي للفعل فـ(يتطهّرن) على معنى المنع من مقاربة النساء حتى يغتسلن من الحيض، وعلى (يطهرن)جواز المقاربة عند انقضاء الدم من دون حاجة إلى الاغتسال.وهذا يغني في تصور الأثر الدلالي للبنية الصرفية.

ب – معنى(فَـعْـلان)وقياسه:وما يخص موضوع هذه الدراسة هو ما كان من مصادر الفعل الثلاثي يتألف من خمسة أحرف بزيادة(ألف ونون)في آخره.ويعتقد الباحث أنّ ما يساعد هذا المصدر على دلالته وجود الألف التي هي صوت مدّ يحمل أثرا دلاليا عميقا في أداء هذه الصيغة ومعناها الصرفي لما فيه(الألف)من طول الصوت عند النطق مما يدل على طول معنى الحدث،وما يصحب نطقه من تردد الصوت واضطرابه قدرا يناسب معنى الصيغة الصرفية بحدّها العلمي.

فقد اطردت في الدلالة على باب واحد من المعنى فجاءت على هذا المثال قال سيبويه((ومن المصادر التي جاءت على مثال واحد حين تقاربت المعاني قولك: النَـزوان والنَقزان والقَفزان.وإنّما هذه الأشياء في زعزعة البدن واهتزازه في ارتفاع ومثله العَسلان والرتكان))[١٣]ويبدو أنّ هذا المعنى محور استعمال المصادر الدالة عليه فتأتي على زنة(فَعَلان)من الثلاثي[١٤]وقد جعل الشيخ محمد حسن آل ياسين ذلك زيادةً يراد بها المبالغة[١٥]وأية مبالغة يقصد فيها؟وهي تحصل من فعال عادة،فلماذا يستعمل فعلان نحو:حسبان وحساب، وعدوان وعداء فلا شك أنّه استعمال لايقصد فيه التنويع وحسب،بل هو تنوّع منظور فيه دلالة الصيغة الصرفية وقصد الخطاب.

وكتب(الدكتور خليل بنيان الحسون)في تعليق له أنّ(فعال)هو مصدر الفعل الرباعي(أفعل وفاعل وفعلل وفعّل)فتقول:فاعل فعالا ومفاعلة حاسب حسابا ومحاسبة،وقاتل قتالا ومقاتلة،وعاتب عتابا ومعاتبة،وهذا المصدر(فعال)لا يدلّ على المبالغة[١٦].

ويمكن جوابه:نعم.. ومنه صلى صلاة؛وذلك بسبب الاشتقاق من حيثيات عدد حروف الفعل؛ولكنه يأتي بملاحظة المعنى من المبالغة مع وجود مصدره على فعل نحو:خسر خُسرا وخسارا وخُسرانا، من الثلاثي باختلاف حركة الفاء كـ(فعلان) باختلاف حركة فائه وعينه فيكون على ثلاثة أنواع بكسر الفاء كحساب وعتاب، وبفتحها كذهاب،وبالضمّ كدعاء.نحو:دعى دعاء،وذهب ذهابا،ويأتي بالكسر نحو:مهد الفراش مهادا على خلاف،وراض السائس المهر رياضا(بكسر الراء) ورياضة،وراد الرجلُ الكلأ ريادا(بكسر الراء)طلبه،وحاد حيادا،ومدّه مدا ومدادا بالكسر،ومداد بالفتح الاسم،وشرى شراء. فأصل البنية(القالب الصرفي)يجيء من الثلاثي وغيره،وحركة الفاء هي التي تتحكم بتوجيه دلالته.

هذا من جهة مجيء فعال مصدرا للثلاثي والرباعي،على الرغم مما نقله محمد بن أبي بكر الرازي(ت٦٦٦هـ) في مصدر(مهد)إذ جعل(مهاد) بالفتح هو الفراش،ولكنّ ما ورد من

هذا المعنى بالكسر في القرآن الكريم،وعن الأزهري(ت٣٧٠هـ)أنّ المهاد بالكسر اسمٌ أجمع من المهد(الفراش) لدلالته على البسط وعبارة الجوهري(ت ٣٩٥هـ)المهاد بالكسر:الفراش.

وعليه،أيضا،مجيء الحُسبان مما عرض له الزمخشري(ت٥٣٨هـ)قوله:والحُسبان (بالضمّ)مصدر حسب،كما أنّ الحِسبان(بالكسر)مصدر حسب،ونظيره الكفران والشكران[١٧].

ومن جهة دلالته على المبالغة يمكن الإجابة:إنّ تعدد المصدر للفعل الواحد لم يكن لمجرد التعدد والانتقاء الذوقي من دون حكمة تتعلق بمقتضى القصد من التعبير بنوع من المصدر وليس غيره مما يرجع للفعل والجذر نفسه نحو:عدا عليه عداء وعدوانا وعدوا.فللدلالة على الحدث فقط بتوكيد الفعل أقول:عدوا،وللمبالغة فيه عداء،وللدلالة على الحركة والاضطراب بما يدل على إنشاء السلوك العدواني أقول عدوانا للشدة في الاعتداء،وعدوانا للتعبير عن ذلك بالمعنى وإضمار الحقد والضغينة،وهكذا ضرب ضربا وضربانا،وذلك تماما كما أقول:(اعتداء)من اعتدى عليه؛لاقتضاء الصناعة ومن هنا يمكن القول:إذا كنّا نعبر بالمصدر على قدر يتلاءم ومقتضى الصناعة بحسب الزيادة والنقصان في اللفظ كـ(عدا،واعتدى،وشرى واشترى)فإنّا نعبر بالمصدر على قدر يتلاءم ومقتضى الحكمة من الاختيار مما يتعلق بالقصد من التعبير.ومن هنا يكون ما قرره الشيخ آل ياسين من دلالة المبالغة في معنى الحدث عند التعبير بالمصدر تقريرا سليما من حيثيات الصناعة،والمعنى.

زيادة في ذلك أنّ أصل التعبير بالمصدر يقصد في أحدى دلالاته المبالغة؛لأنّ التعبير به يأخذ الذهن جميعَه من دون انصراف إلى تصور زمن الفعل والفاعل فلا يلتفت الذهن لغيره ولا ينصرف لسواه.

من ذلك نقول:عدا عدوا للدلالة على توكيد الحدوث،وفعالا عداء للدلالة على شيء من المبالغة فيه،بما يشبه معنى الصراخ ونحوه والهياج،فإنْ صحبه حركة واضطرابٌ قلنا:فعلان هيجان وعدوان وذهب ابن جني(ت٣٩٢هـ)في تعليل مجيء ما دل على الحركة والاضطراب على هذا المثال(فَعَلان)إلى أنّ العرب لهم تصرف في أبنية كلامهم((فقابلوا بتوالي حركات المثال توالي حركات الأفعال))[١٨]فإذا صَحّ ذلك فليس بمطردٍ لأنّهم جاءوا بما دل على الحركة والاضطراب على غير هذا المثال.فكل ما جاء من المصادر(على خمسة أحرف)مزيداً بألف ونون في آخره دل على باب(معنى الغليان)مما ينطوي على الحركة والاضطراب،ويرى ابن جني مجيء فَعَلان إشارةٌ إلى الأصل نحو الجَوَلان والحَيَران[١٩]وفي ذلك إشارة إلى أنّ الأصل في كل مصدر يتضمن معنى الاضطراب تحريك وسطه ليدل على معنى الاضطراب والحركة كالدوران،ومن ثمّ ينقاس ويتوسع بحسب معناه.

والصيغة هي التي تكسب السياق الذي ترد فيه معنى الحركة والاضطراب من ذلك الفعل لقي يشتق منه اللقيان،والفعل وجد يشتق من وجدانا وقد لايُتصوّر معنى الاضطراب فيهما لكنّا إذا قرأنا النصّ الذي تردان فيه وجدنا معنيهما ظاهرا وذلك قول الإمام عليّ عليه السلام يخاطب بعض أعدائه {وَلَعَمْرِي لَئِنْ لَمْ تَنْزِعْ عَنْ غَيِّكَ وَشِقَاقِكَ لَتَعْرِفَنَّهُمْ عَنْ قَلِيلٍ يَطْلُبُونَكَ لَا يُكَلِّفُونَكَ طَلَبَهُمْ فِي بَرٍّ وَلَا بَحْرٍ وَلَا جَبَلٍ وَلَا سَهْلٍ إِلَّا أَنَّهُ طَلَبٌ يَسُوءُكَ **وِجْدَانُهُ** وَزَوْرٌ لَايَسُرُّكَ **لُقْيَانُهُ** والسَّلامُ لأهله}(الخطبة٩)فقد اكتسب السياق دلالة الاضطراب في ضوء الصيغة فعلان بقرينة لا يسرّك، أيْ:يحزنك لقيانه لما في الحزن من هيجان واضطراب،وفي السوء ما فيه من الشر الذي تضطرب له النفس.

زيادة في ذلك ما يكون عليه هيجان النفس واضطرابها تشوقا للقاء المحبوب، ويقابله انطوائها على الخوف والحذر عند توقع لقاء المكروه مما يحزن ويخوّف وجدانه.وذلك ظاهر في مفهوم العبارة ومعناها الثانوي الخفي ممّا هو ضدّ(السوء) وضدّ نفي السرور وهو إثباته.

ولعل مراد ابن جني،وغيره من العلماء في المسألة،الدلالة على الحدث من الحركة والاضطراب ويرى،أيضاً،أنّ(فَعَلَ)من فَعَلان إنما لحقها الألف والنون في آخره،لأنّ اللام أضعف من العين؛لأنّها آخر الكلام والعين أقوى منها،والفاء أقوى من العين.

ومن هنا يرى أنّ الجَوَلان(الفَعَلان) قد امتاز من مشابهة الفعل بما لحقه في آخره من الألف والنون،وهذه الزوائد مما يختص به الأسماء دون الأفعال،فجرى لذلك المصدر مجرى ما خالف الفعل بالبنية،وهذه الزيادة في آخره هي التي تباعده عن الفعل بمعنى من المعاني(٢٠)ولعله يريد ما يدل عليه الفعل من قيد الزمن والفاعل المعين.

ولا شك في أنّ نصّ ابن جني شرحٌ لقول المبرد(ت٢٨٥هـ):إنّ المصدر اسم الفعل(٢١)وهو يعني الحدث الذي يدل عليه والذي يشاركه الفعل فيه فحسب.وكلامه، أيضا،غير مخصوص بما توالت حركته(الفتحة)على ثلاثة أحرف(فَعَلَ)بل يسري إلى جميع المصادر الخماسية المزيدة في آخرها بألف ونون،نحو رُضوان وحُسبان وغيرهما(٢٢).

ومن هنا فقوله بتوالي الحركات تعليلٌ حسنٌ؛لكنه لا يطرد؛ذلك بأنّ معنى الاضطراب وتوالي الحركات((قد جاء على فُعَال نحو:النُزاء والقُماص كما جاء عليه الصوت نحو الصُراخ والنُباح؛لأنّ الصوت قد تكلف من نفسه في النَّزَوَان ونحوه،وقالوا النَّزو والنَّقز كما قالوا السَّكت والقَفز والعَجز؛ لأنّ بناء الفعل واحدٌ لا يتعدى كما لا يتعدى هذا))(٢٣)ويلمح سيبويه في هذا النصّ إلى أنّ المسوّغ في مجيء هذه الأبنية الصرفية؛أنّها مشتركة في كون أفعالها غير متعدية.وصريح نصّه أنّ البناء الصرفي(فُعال)المستعمل في الأصوات كالصراخ يدلّ على الباب نفسه من معنى الحركة والهيجان باضطراب كالبكاء،ولا يبعد أنْ تكون على

هذا الباب الفاظ الأدواء والأمراض كالزكام ونحوه؛لأنها تنطوي على الحركة بتهيج المريض واضطرابه.

فلما كان فَعَلان مما دل على حركة وتهيج واضطراب،وجاءَ فُعال على هذا المعنى دلّ ذلك على أنّ البناءين متداخلان يعبران عن المعنى نفسه من مثال الغليان والهيجان،وأنّه باب يقاس عليه بناء الفاظ المصادر،في استنباط معناها الدال على معنى السياق(النصّ).

وإذا كان فُعال(نُزاء)بدلالة فَعَلان(نَزَوان)فيمكن أنْ يقال:أبنية المصادر الدالة على معنى الغليان من الحركة والتقلب والاضطراب منها ما جاء على فَعَلان،ونحوه،ومنها ما جاء على فُعال.وما جاء على فُعال منها اكتفى به عن مجيئه على فَعَلان،ولذلك لم يسمع عَجَبان مثلاً وإنما سُمع عُجابا،ولو صُيغ منه اليوم فَعَلان لصح قياسه واطرد بابه من المعنى المقصود.قالت الخنساء،(الطويل):

كأنَّ ابن عمرو لم يُصِّح لغارةٍ بِخَيلٍ ولم يُعمِل نجائب ضمَّرا

ولم يجزْ أخوان الصفاء ويكتسي عُجـــــــاجاً أثارته السنابُك اكدرا[٢٤]

وظاهرٌ أنّ العجاج،بصريح البيت ينثره الخيل في الحرب،فهو تراب هائج يتحرك وينقلب باضطراب.مما يدل على أن الصيغة تشارك فَعَلان المعنى نفسه،وكأنّها قالت:عججان.

ولايبعد،عندي،صحة القياس على هذا الباب من المعنى فلو قيل:السَكَتان، والرَكَضان،والعَشَقان، والسَبَقان،والمَوَران، والرَّتَجان، والنَزَقان، والشَيبان،والسَيران، والنَعسان،والحَزَنان،والخذلان ونحوها مما دل على حركة الموصوف بتهيج واضطراب لكان صحيحا.لما فيها من دلالة تفصح بهذا المعنى وهكذا سنة العرب في صياغة ألفاظها وما قيس على كلامها فهو من كلامها[٢٥].

والقول بصحة هذه المثل من الألفاظ وقبولها حكم يطابق الأصل بأنْ يرتبط الحكم بعلته وجوداً وعدما،وقد يبقى الحكم مع زوال علته،في كلام العرب والقياس عليه قال ابن جني((وعندي مثلٌ يوضح الحال في إقرار الحكم مع زوال العلةِ،على قلة ذلك في الكلام،وكثرة ضده في الاستعمال)) [٢٦]وما يقال في عدم ظهور الحركة والاضطراب في نحو السكتان والنعسان لا يخدش كونها على معنى هذا الباب لما في السكوت من العناء فالسكتان يقال:للامتناع من الكلام،ولمن فيه عيٌّ وفي المنع قوة وتجيش النفس وعناد للرغبة في الكلام،لما كان من النطق في حدّ الإنسان.

ومثله النعسان اضطراب البدن وعجزه عن الوعي والركون به إلى السكون وحالة السكون التي يكون عليها الإنسان هي النوم وليس النعاس فهو مقدمة للنوم يضطرب فيه البدن ويختل بحركته.وليس القصد من النعسان والسكتان السكون مما هو عدم الحركة والاضطراب.

وهذا الذي نقول بجواز صياغته حكم له علة باقية تلازمه وهي دلالته على المعنى من نحو النزوان والغليان وإن لم يسمع عن العرب فالنبحان:فعله نَبَحَ يَنبِحُ فهو من باب ضرب على كسر الثاني في مضارعه،ومن باب قطع على فتح العين في مضارعه،وهو لازم.ومعناه صوت الكلب وهو منطوٍ على الهيجان والحركة والاهتزاز باضطراب وتجيّش.

والشَبَبان:فعله شَبَّ يَشِبُّ شَباباً.وشَبيبةً وهو من الباب الثاني،وهو لازم وصيغة فَعال دالة على الحركة.ولكن فَعَلان منه جائز لو تكلم به ومعناه عكس الشيب.وفي الشببان ما فيه من الهيجان والحركة والاضطراب قال الشريف المرتضى(ت٤٣٦ هـ) في معنى الشباب. (مجزوء الكامل)

يا حبذا مَن زارني من بعدِ صدٍّ واجتنابِ
نشوانُ في أعطافه طرب الشبيبة والشبابِ [٢٧]

ففي البيتين دليلٌ على ما في نشوة الشباب من طرب النفس واهتزازها وهيجانها بما يظهر على الجسم والسلوك بما يدلّ عندي على جواز صياغة فعلان من شبَّ ،وشاب ونحوهما مما لم يسمع.((ألا ترى أنه ليس كل ما يجوز في القياس يخرج به السماع،فإذا حذا إنسان على مُثُلِهم وأمّ مذهبهم لم يجب عليه أن يورد سماعا))[٢٨]وقل مثل ذلك في الشيبان لما فيه من اضطراب النفس وهيجانها وطربها حزنا وأسفا على ذهاب القوة والشباب.

وأما ما يجري على لسان بعض أساتيذ هذا العلم بأنّه لاقياس في اللغة ولا يمكن الاتيان بصيغة لم يتكلم بها العرب فإنّنا لانستطيع أنْ نقول:اجتلس وإنْ وُجد في اللغة اقتعد،ولا افتكر وإنْ وُجد فيها ادّكر،ولا استفر من السفر،وإنْ كنا نقول:ارتحل من الرحيل،فصحيحٌ؛لكنّ الذي يبدو للباحث معه أنّ القول بمنع جريان القياس في اللغة إنّما يكون بالنسبة للمسميات من جهة الوضع فحسب،ولا يتعدى ذلك إلى اشتقاق صيغ بناء اللفظ صرفيا لانطواء المنع على الجمود.ولقياسه على كلام العرب وعلى مثلهم وسمت ألفاظهم مما هو صريح نصوص النظرية اللغوية من كلام ابن جني السابق،فما يوافق القياس وله باب من العربية فلا يجب فيه الجمود على السماع،وما لم يوافق أقيسة العربية وكان سماعا وجب الجمود عليه.

ثمّ إنّ ما جاز في القياس وطابق المسموع في كلام فصحاء العرب فهو من كلامهم وإنْ لم يرد به سماع،نحو:انقعر وانجلس واندخل وانحبس ونحوها مما يجوز في القياس ولم يرد في كلامهم مما رصده علماء العربية ومؤلفو المعجم العربي،وكوننا لانتكلم به لايعني أنّه ليس على سمت كلامهم.

إنّ ما ذكرته من الأمثلة لا يمنع منه قياس ولا يعارض سماعا؛ذلك أنّه يكون قياسا على نحو:((الغليان؛لأنّه زعزعة وتحرك ومثله الغثيان؛لأنّه تجَيّش نفسه وتثور،ومثله الخطران واللمعان؛لأنّ هذا اضطراب وتحرك ومثل ذلك اللهبان والصَخَدَان والوَهَجَان؛لأنّه تحرك الحرّ وثؤوره فإنّما هو بمنزلة الغليان))[٢٩]وهذا أصل يقاس عليه غيره.

فقد جاء،في كتب اللغة،النتلان من الفعل(نتل في عدوه)،أيْ:أسرع،وكذلك اللفحان،يقال:(لفحته) النار أو السموم لفحا ولفحانا أصابت وجهه وأحرقته ويقال لفحته السموم قابلت وجهه فهي لافحة جمعه لوافح،وهي لافح ولفوح،أيضا، ولفحتُ فلانا بالسيف لفحا ضربته به ضربة خفيفة،واللهبان: وهو توقّد الجمر بغير ضرام،والدَيصان،معناه الروَغان، وهما من داص وراغ،والومضان،ومض البرق وميضا،وومضانا،والبرقان،أيْ:رعد السماء[٣٠]، والتيهان، معروف مشهور في معنى الحيرة، وذلك كلّه مما يدلّ على قياسية هذه الصيغة وانطباع بابها بطابع معنى الحركة والاهتزاز والاضطراب مما في النقزان والغليان،وفي المعجم:إذا عجل الرجل في مشيته ارتفع وانخفض وذلك اهتزاز فيمكن أنْ يصاغ منه على الباب(عجلان)بتتابع حركة الفتحة.ومنه في طرد معنى الباب قول الشاعر فيما ينسب لمالك الأشتر النخعي:(الكامل).

حميَ الحديد عليهم فكأنّه ومضانُ برقٍ أو شُعاعُ شموس.

ومن مجيئه على الباب اطرادا ما يعين عليه مادته اللغوية(المعجمية) كالرمعان مما ذكره الخليل (ت١٧٥هـ)إنّ(رمع) بمعنى تحرك تقول:رَمَعَ يَرْمَعُ رَمْعاً ورَمَعاناً وهو التحرّك،وتقول:مرّ بي يرمع رمعاً ورمعاناً مثل:رسم يرسم رسماً ورسماناً، وكالإزْرَاءُ،أيْ:التَهَاوُنُ،يقال في اللغة:أزْرى به،وزَرى به يَزْري،أيْ:عابَهُ،وهو زَارٍ عليه وبه،زَرَيَاناً وزَرْياً ومَزْرِيَةً،وذكر الجوهري أنّه يقال:الرديان من رَدَى الفرس يردي رديا ورديانا،إذا رجم الأرض رجما بين العدو والمشي الشديد،وعنه،أيضا، يقال: ثار الغبار بثورُ ثورا وثورانا،ونحوه ما ذكره الفيروزآبادي من اشتقاق فعلان مصدرا من الفعل رغب إليه،فيقال في مصدره:رغبان،وعنه،أيضا،يقال في مصدر وثب وثبانا،وهمى الماء والدمع يَهمي همْيا،وهميانا،إذا سال،ومنه:نبذ العرق نبذانا:لغة في نبض،وهو دال على الحركة بغير خفاء،وفي القاموس ضربان العرق كالنبذان..

ومن اطراد بابه من المعنى،أيضا،قولهم:لَوى الرجل رأسه وألْوَى برأسه:أمال وأعرض.ومنه قوله تعالى:{وإنْ تَلْووا أو تُعْرِضوا} بواوين.هو القاضي يكون لَيُّهُ وإعراضه لأحد الخصمين على الآخر. وقد قرئ بواو واحدة مضمومة اللام من وَليتُ.أيْ أن تَلوا الشهادة فتُقيموها أو تُعرِضوا عنها فتتركوها. ولَوَتِ الناقة ذَنَبَها وألْوَتْ بذنبها،إذا حركته،ولَواه بدَيْنِه لَيَّاناً،أيْ:مطله.قال ذو الرمّة: (من الطويل)

تريدين لَيَّاني وأنتِ مليئةٌ ... وأُحْسِنُ يا ذات الوشاحِ التقاضيا

ومنه،أيضا،ما يتعدى حدود الهالة المعجمية كالفعل(راود ورادت المرأة)ما فسّره السمين الحلبي (ت٧٥٦هـ)قال:راودته،أيْ:طالبته برفق ولين قول،والمراودة المصدر،والرّيادة طلب النكاح/ومشى رويدا،أيْ:ترفّق في مشيته،والرّود:الرفق في الأمور والتأني فيها،ورادت المرأة في مشيها ترود، رودانا من ذلك،والارادة منقولة من راد يرود إذا سعى في طلب

حاجة[٣١] فلماّ كان السعي والمشي فيه اهتزاز وحركة واضطراب الأنفاس جاء على مثاله فعلان،وذلك دالٌّ على اطراد بابه من المعنى.

وقد جرت معركة الآراء في مسألة القياس في اللغة،فعرض لها جامعا شتاتها ابن جني فتوصل إلى أنّ القياس أن تبني على أمثلة العرب وهو طريق الخليل وسيبويه على ماذكر،وقد عرض لها أستاذنا الدكتور خليل بنيان ملتزما المنع فيه،وعرض المسألة الدكتور لطفي عبد البديع في ما يتعلق بتخصيص الوضع.[٣٢]

وأرى المسألة على الوسطية بحسب مقتضيات سنن اللغة وأقيستها فلابدّ من الأخذ بالقياس في اللغة،ما لم يدخل فيها ماليس منها،ولم يخرق نظامها،وهو ما جاء على قواعدها المستنبطة من طبيعتها الاستعمالية بالاستقراء وأنْ يجري ذلك على نحو ما قاسه اللغويون في(فعلى وفعالى)في ضوء ما أوردوه في كلمة(حرمى)ونحن ننقله لفائدته في هذا الموضع من البحث وذلك قولهم إنّ:فعلى مؤنث فعلان(الوصف)قد تجمع على فعالى وفعال نحو:عجالى وعجال،وأما شاة حرمى فإنّها،وإنْ لم يستعمل لها مذكر،فإنّها بمنزلة ما قد استعمل؛لأنّ قياس المذكر منها حرمان،فلذلك قالوا في جمعه حرامى وحرام كما قالوا عجالى وعجال.[٣٣]

وذلك يُمكّننا من الإفادة في دعم فكرة القياس اللغوي في مقابل الاحتجاج على من يمنعه من علماء اللغة المتقدمين والمتأخرين والمحدثين وذلك للحفاظ على منهجية تنمية اللغة.وهذا ما يفسّر لنا قرار مجمع اللغة العربية الذي اتخذه منهجا في القياس اللغوي فجوّزوا الاجتهاد فيه بحسب الشروط المتوافرة من الحفاظ على سنن العربية وطبيعتها من إباحتها لكلّ دخيل.[٣٤]

وقد لحظ علماء العربية كابن جني اطراد بابه من المعنى حتى جرى في المصادر والصفات والأسماء فقال:((أكثر ما جاء فعلان في الأوصاف والمصادر.فالأوصاف كقولهم:رجلٌ شقذان للخفيف(بتتابع الفتحة/فعلان)،وقالوا:أكذب من الأخيذ الصّبَحان، بفتح الباء كما ترى،وقد روي الصبْحان بتسكينها.ويومٌ صَخَدان ولهبان(بتتابع الفتحة/ فعلان)لشدة الحر،وعيرٌ فلتان،ورجلٌ صميان،ماض مُنْجرد.(بتتابع الفتحة/فعلان).

وأمّا المصادر فنحو:الوهجان...والنقران(بتتابع الفتحة/فعلان)،والمعنى في الوصف والمصدر جميعا من هذا المثال-أيْ:الوزن-الحركة والخفة والإسراع،وهو في الأسماء غير الصفات والمصادر قليلٌ،غير أنّهم قد قالوا:الورشان والكروان(بتتابع الفتحة/فعلان)والشبهان لضرب من النبت وقيل:الشّبُهان بضمّ الباء،وقالوا:العنبان (بتتابع الفتحة/فعلان)للتيس من الضباء النشيط،فإذا كان كذلك كان الصفوان أيضا مما جاء من غير الأوصاف والمصادر على فعلان(بتتابع الفتحة/ فعلان))[٣٥] فمجراه على هذا المعنى في الصفات والاسماء أدعى لقياسه طردا للباب في معناه في المصادر.والأصل الآخر الذي رسمه اللغويون،وهو مما

يصح أن يقاس عليه عندهم،قول سيبويه في استقراء هذا الوزن ((وأكثر ما يكون الفَعَلان في هذا الضرب ولا يجيء فِعلُهُ يتعدى الفاعل إلا أن يشذ شيءٌ نحو:شَـنئته شـنآناً))[٣٦]وتلكم الأمثلة إنّما جاءت وفعلها لازم غير عَشَقَان،فإنَّه يتعدى وسَبَقان فعله يكون لازماً ومتعدياً نحو:سبق زيدٌ.وسبق زيدٌ عمرا.ولست أميل إلى حكم سيبويه بشذوذ ذلك فإنّ بابها من معنى الحركة والاضطراب يوجب بناءها على مثال فَعَلان وكان الأولى أن يقال يصاغ المصدر على هذا الوزن الصرفي لمعنى الحركة والاضطراب والتهيّج من غير نظر إلى تعدي الفعل ولزومه.أو يقال:يجيء مما يكون فعله لازما،وقد يأتي مما يتعدى فعله.

وقد ورد عن العرب قولهم في اللازم نما الشيء نَمَيَانا لما فيه من حركة واضطراب وزعزعة على اختلاف معانيه((فإنّ العرب فيما أخذناه عنها،وعرفناه من تصرف مذاهبها عنايتها بمعانيها أقوى من عنايتها بألفاظها أولا تعلم عاجلا...أنّ سبب إصلاحها ألفاظها،وطردها إياها على المُثُل والأحذية التي قننتها لها وقصرتها عليها إنّما هو لتحصين المعنى وتشريفه والإبانة عنه وتصويره)) [٣٧]ولا يسمى ذلك عليها شذوذا بل شأوها المعنى في ذلك كله.

وجميع أمر المصدر المزيد بألف ونون في آخره راجع إلى تصرف العرب في معانيها ولذلك جاء منه فَعَلان بتتابع حركة(الفاء والعين واللام)نحو الغَلَيان،وجاء منه على أمثلة غير هذا نحو فُعلان غُفران،وخُسران،وجاء منه فِعلان كرِضوان،وعِصيان وذلك أنّ العرب((قد جاءوا بالفَعَلان في أشياء تقاربت وذلك الطَّوَفان والدَّوران والجَوَلان شبهوا هذا حيث كان تقلباً وتصرّفاً بالغليان والغثيان لأن الغليان أيضاً تقلب في القدر وتصرفه وقد قالوا:الجول والغليّ فجاءوا به على الأصل))[٣٨]وفي هذا النص أمورٌ :

الأول: إنّ الغليان مثال لمعنى هذه البنية الصرفية(فَعَلان)يجري على لسان سيبويه ليقاس عليه وذلك لظهور المعنى وصراحته فيه،وكذلك سنتخذه مثالاً للقياس عليه في هذا البحث جميعه.

الثاني: إنّ الأصل في بناء المصدر لهذه المُثُل إنّما هو(فَعلٌ).وذلك قوله وقد قالوا:جال جولاً وغلى غلياً،وهذا أصلٌ تقاس عليه الأفعال التي لها أكثر من مصدر نحو:((خَسِرَ:كَفَرِحَ،وضرب، خَسْراً،وخَسَرا،وخُسْراً،وخُسْرا،وخَسَرَاناً وخَسَاراً، وخُسْراناً))[٣٩]فالمصدر الأصل،في هدي كلام سيبويه،هو خَسراً وخُسراً. ثم زيد عليه الألف فصار خساراً،وزيد الألف والنون فصار خُسراناً. وزيادة المبنى تلحقها زيادة المعنى.وهذا مثل يجري على جميع ما كان له مصدران فأكثر بهذا النحو.

وعلى هذا فليس شنآن بشاذ؛لأنّ((شَنَأَهُ شَنْأً وشَنَآناً))[٤٠]فالأوّل أصلٌ،وزيد الألف والنون في آخره لزيادة معناه في الحركة والاضطراب كالغليان.فليس من العلم وصف ذلك بالشذوذ؛لأنّ العرب((قالوا:الحَيَدان والمَيَلان فأدخلوا الفَعَلان في هذا كما أنّ ما ذكرنا من

المصادر قد دخل بعضها على بعض وهذه الأشياء لا تضبط بقياس ولا بأمر أحكم من هذا.وهكذا مأخذ الخليل))[٤١]وههنا إشارة،بل إجازة لحمل كل ما كان في معنى الغليان والرَوَغَان على فَعَلان سواء أكان مثاله على تتابع حركة الفاء والعين واللام بالفتحة،أو بسكون العين وضم أو كسر الفاء بحسب ما تسمح به الصناعة من تآخي الحروف واتساقها صوتيا.

وفسّر السيرافي(ت٣٨٦هـ)كلام سيبويه المتقدم أنّه يعني أنّ الميلان والحَيَدَان بناءٌ شاذ خارج عن قياس فَعَلان.ولا يرى الباحث أن يكون هذا مراد سيبويه؛ذلك بأنّ سيبويه نفسه قال وهذه أشياء لاتضبط بقياس ولا بأمرٍ أحكم من هذا ولاشك أنّه يريد المعنى.والعجب كله من تفسير السيرافي وهو من هو،ولا أشك أنّه أخذ عن كلام سيبويه جواز القياس على معنى الروغان والهيجان إذ قال في الموضع نفسه من سياق تفسيره كلام سيبويه((قال أبو سعيد:وقد يجوز عندي أنْ يكون على الباب لأنّ الحيدان والميلان إنّما هما أَخْذٌ في جهة مّا عادلة عن جهة أخرى فهما بمنزلة الروغان وهو عدو في جهة الميل))[٤٢]وهو بتمام معنى الصيغة الصرفية فعلان من الاضطراب.ومن هنا أرى أنّه يمكن أنْ يقال:في الوثب وَثَبان،وكما هو موجود في المعجم، ويمكن في الخبث خَبَثان،ونحو ذلك مما يكون هذا بابه من المعنى وعلى الغليان مثاله فقد قالوا:((الطَيَران كما قالوا: النَزَوان،وقالوا:نَفَيان المطر شبهوه بالطيران؛لأنّه ينفي بجناحيه فالسحاب تنفيه أوّل شيء رَشّاً أو بَرَداً،ونفيان الريح،أيضاً،التراب وتنفي المطر تصرفه كما يتصرف التراب))[٤٣]فإنّما قالوا ذلك، بحسب ما أُرى،وأتحسس من المعاني قياسا على باب المعنى وحملاً على(الغليان).فهو مثال الباب وقياس معناه عند سيبويه.قال امرؤ القيس:(الطويل).

ومَرَ على القَنَان من نَفَيانِهِ فأنزل منه العُصْمَ من كلّ منزِلِ[٤٤]

وظاهرٌ اطراد هذا المعنى الذي في غليان ونقزان على هذه البنية الصرفية من قوله(نَفَيان) و(حدثان)في قول الشاعر(من البسيط):

لا يُبعِدُ الله إخواناً لنا ذَهَبوا أفناهم حَدَثانُ الدّهرِ والأَبَدُ

نُمدَّهُم كلّ يومٍ من بقيتنـــــــا ولا يؤبُ إليـــــــــنا منهمُ أحدُ[٤٥]

فلما أشبه الدهر،باضطراب أحداثه وأقداره،الحركة والاهتزاز باضطراب أجرى مجراه وإلا فان حدثان الدهر أمر معنويٌّ.ومن لطيف ما يرجع الأمل إلى الحدثان وفعله قول إعرابي من باهلة(الطويل):

سأُعمِلُ نَصَّ العيسِ حتى يكُفَّني غِنى المال يوماً أو غنى الحدثانِ

فَللموت خيرٌ من حياةٍ يُرى لها على الحرّ بالإقلال وسمُ هـــوانِ

متى يتكلمُ بلغَ حسن حديثه وانْ لم يقل قالوا:عديـــــمُ بيانِ

كأنّ الغنى عن أهله،بورك الغنى بغيـــــــر لسانٍ ناطق بلسانِ[٤٦]

وقال الشريف المرتضى(من الكامل):

ليس الرّياسة بالمنى أو بالهوى لــكنّها بركوب كلّ صعـــاب

لا تقربوا بذئــبكم طلــعاً عن النسلان والعسلان ليث الغابِ[٤٧]

والنسلان والعسلان وصف لسريع السير والعدو وهو ظاهر فــي حركتــه واهتــزازه وتزعزعه، فالمعنى حاكمٌ في اشتقاقه كالفرق بين حسنا وإحسانا مما ورد في كلام العــرب والتعبير القرآني،قوله تعالى:{ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْــهِ إِحْــسَانًا حَمَلَتْــهُ}[الأحقــاف١٥] قــال الفراء(ت٢٠٧هــ):((قرأها أهل الكوفة بالألف،وكذلك هي في مصاحفهم،وأهل المدينة،وأهل البصرة يقرءون(حسنا) وكذلك هي في مصاحفهم،ومعناهما واحد والله أعلم))[٤٨]،والذي يبدو للباحث أنّ كلمة الفراء هذه تنطوي على شيء من الحرج في تخطئــة القــراء وتــضعيف القراءات.

فإذ لْم يظفرْ بالفرق بين اللفظين دلاليا فالمعنى ليس واحدا كما زعم(رحمه الله)،والحــال أنّ فرقا بينهما كبيرٌ وذلك بالنظر في سياق الآيات من قوله تعالى:{وَوَصَّيْنَا الْإِنْــسَانَ بِوَالِدَيْــهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْــتُمْ تَعْمَلُونَ}[العنكبــوت٨]فذلك على ما هو معنوي نفسي وما هو مادي سلوكيّ،فالحسن دلالة علــى الحدث المجرد من الحُسن،وهي دلالة عموم تتضمن القول والفعل،ومنه قوله تعالى{وَقُولُــوا لِلنَّاسِ حُسْنًا}[البقرة٨٣] وقوله:{قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا}[الكهف٨٦]

فيكون الحسن دالا على الفعل والقول من حيثيات الاستعداد النفسي والتحفز الــسلوكي للحسن،بينما الاحسان يدلّ على إنشاء الفعل السلوك في الواقع،والفرق بينهما كالفرق بــين وجود الشيء بالقوة أو بالفعل.ويمكن أنْ يبرهن ذلك في ضوء الرجوع للفعل فالحسن مصدر حسُن اللازم،وهو ما ينطوي على الحسن الذاتي من السجايا ونحوها،والإحسان مصدر أحسن مما هو إحداث الفعل في الخارج.ومن هنا يفيد الباحث أنّ استعمال المصدر ليس اعتباطيــا بل لغاية تعبر عن حكمة الاختيار في التعبير عن المعنى المقصود نفسه وبالــذات ولــيس غيره.

<u>الثالث</u>:إنّ نحو غُفران مصدرٌ نادرٌ،وقليل الأمثلة في المصادر ومن الصحيح في النظريــة اللغوية أنّ النادر والقليل يحفظ ولا يقــاس عليــه فــلا نقــول رُكــضان،ولا قُفــزان،ولا حُركان،وغُليان،لكنّنا نقول: حُسبان،وعُدوان،وخُسران،وبُهتان،وكلما اقتضت الحاجــة إلــى صياغة المصدر على هذا الوزن للتعبير عن هذا المعنى مما فعله يدل عليه ويقترب منه بما تسمح به الصناعة كان سبيلنا أنْ نقول: سكتان ونعسان وميلان ونهمان ولهفــان وحركــان وغليان وركضان بفتح الفاء فيكون قياسه على ما كثر وانتشر لا على ما قلّ وندر،كالزيفان من قول الإمام علي عليه السلام في صفة طاووس:{يَخْتَالُ بِأَلْوَانِهِ وَيَمِيسُ بِزَيَفَانِهِ}[الخطبــة٦٨] وقوله عليه السلام:{..وَسَكَنَتِ الْأَرْضُ مَدْحُوَّةً فِي لُجَّةِ تَيَّارِهِ- يقصد الماء- وَرَدَّتْ مِنْ نَخْوَةِ

بِأُوهِ وَاعْتِلَائِهِ وَشُمُوخِ أَنْفِهِ وَسُمُوِّ غُلُوَائِهِ وَكَعَمَتْهُ عَلَى كِظَّةِ جَرْيَتِهِ فَهَمَدَ بَعْدَ نَزَقَاتِهِ وَلَبَدَ بَعْدَ زَيَفَانِ وَثَبَاتِهِ فَلَمَّا سَكَنَ هَيْجُ الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ أَكْنَافِهَا وَحَمَلَ شَوَاهِقَ الْجِبَالِ الشُّمَّخِ الْبُذَّخِ عَلَى أَكْتَافِهَا فَجَّرَ يَنَابِيعَ الْعُيُونِ مِنْ عَرَانِينِ أُنُوفِهَا}(الخطبة٩١) والاضطراب والاهتزاز واضحان في صيغة فعلان.والزيفان كالزوغان في الميل وهو معروف.

ج ــ أنواع بناء فعلان وأبوابه. ومما تقدم يظهر ما يأتي:

١. أنّ معنى الحركة والاضطراب في(غَليان)باب يقاس عليه من كلام العرب والفاظها قدر ما يقبله القياس.

٢. أنّ المصادر المزيدة في آخرها ألف ونون دالة على هذا الباب من معنى الغليان من غير شرط تتابع حركاته.نحو فِعلان،فُعلان.

٣. أنّ المصادر المتألفة من خمسة أحرف(فعلان)دالة على هذا الباب باطّراد من معنى الغليان وهي ثلاثة أنواع بحسب حركة الفاء والعين وهي:

ا – مفتوحهما نحو:فَعَلان كالشَنَآن،والنقزان. **ب** – مضموم الفاء ساكن العين نحو:خُسران،وغُفران. **ج ــ** مكسور الفاء ساكن العين نحو:عِصيان،ورِضوان.

إنّ تعدد حركة هذا الوزن لاتشير إلى تعدد دلالته فبابه من المعنى واحد وما اختلاف حركته إلى بسبب اختلاف الصفات الصوتية لحروف جذره ومجاورتها ومقتضيات ذلك مما ليس من مجال هذا البحث بيانها من ذلك على سبيل المثال شنآن بفتح الشين وسكون النون،وبفتحهما لتأثر الأداء النطقي من جهة الخفة والثقل.ومن الجدير بالذكر أنّ التنظير الصرفي أوضحَ على مستوى الدلالة الصرفية أثر تغير حركة الميزان الصرفي،وقد كان هذا الأمر بالاستقراء وتنظيم أبواب المعنى مما سطره الصرفيون في مؤلفاتهم التعليمية من ضوابط الأبواب وقياسية صياغة المصدر بالاستقراء والاطراد كالذي فعله أستاذنا المرحوم الدكتور هاشم طه شلاش وغيره.كقياسية صياغة المصدر على فعال بكسر الفاء من الفعل اللازم الأجوف،نحو صام صياما،وذاد ذيادا،وغاب غيابا،أو كان معناه الامتناع،كالإباء،والنفار والجماح، وبضمّ الفاء إذا كان يدلّ على داء،أو صوت،ويصاغ على فعلان إذا كان فعله مما

يدل على معنى الحركة والاضطراب كالطوفان،والجريان،والفيضان،والهذيان،والفوران، والفرقان،والخذلان والخفقان، والهملان،والهجران.

وهذه الضوابط ليست مانعة فما كان فعله متعديا يمكن صياغة مصدره على فعال بكسر الفاء نحو: حصار، وحجاب، وفطام مما يعني أنّ الصرفيين وضعوا قواعد أقيستهم على الأكثر والأشهر، وهذا لايعني امتناع مخالفة القياس فالسماع عندهم أغلب وأعلى درجة من بين أصول النحو،وماذا يكون عليهم؟لو قالوا:يمكن صياغة مصدر الفعل الثلاثي(فعل/بفتح الفاء والعين)على فعال،وكلاهما مسموع،من دون زيادة قيد اللزوم والتعدي لعدم الفائدة

منه؛لأنّ القيد يُزاد للمنع والحصر وهما غير متحققين،وقد سبق بيان ذلك في التعليق على كلام سيبويه حين حكم بشذوذ(شنأ).

ولهذا السبب ربما يقال:أين معنى الغليان في نحو:غُفران، وخُسران، ونسيان، ورضوان؟فجوابه: إنّ هذا الوزن الصرفي قالبٌ للتعبير عن معنى الاضطراب والهيجان والحركة المادية فيما فيها التقلب كالغليان،أو المعنوية النفسية بحسب قصد المتكلم في أيّ مادة لغوية شاءت حكمته في التأليف الإتيان بها بحسب المواقف الاجتماعية،ومقام الخطاب في التعبير عن المعنى.ومن ذلك إنّ النسيان والخسران(مثلا)فيهما اضطراب ظاهر،غير أنّ الغفران والرضوان يثيران في النفس فرحا وسرورا يختلج الإنسان فيشابه الحركة واضطراب المشاعر وربما تعدى إلى قلقلة النفس،وإقلاقها.فيجري هذا القالب الصرفي للتعبير عن هذا الباب من المعنى؛وذلك لقول سيبويه في تعريف الصيغة((الغليان؛لأنّه زعزعة وتحرك ومثله الغثيان؛لأنّه تجَيّش نفسه وتثور،ومثله الخطران واللمعان؛لأنّ هذا اضطراب وتحرك ومثل ذلك اللهبان والصَخَدَان والوَهَجَان؛لأنّه تحرك الحرّ وثؤوره فإنّما هو بمنزلة الغليان))[٤٩]وهذا أصلٌ يقاسُ عليه غيره في صياغة اللفظ صرفيا لهذا المعنى.وذلك في نحو كثير من الفاظ هذا الوزن كالهملان من قول الشاعر:(الطويل).[٥٠]

عُفيراء كم من زفرة قد أذقتني وحُزن ألجَّ العينَ في الهَملان
بُليـــنا بهجران ولم أرَ مثلنا من النّاس إنســـانين يهتجران
أشدّ مكـــــافأة وأبعـد قلى وأكثر حبّا حيـــــن يكتتفان

فلمّا كان هملان الدمع من العين بمثابة الفيض والسيل اشتق له مصدرا على فعلان،ولولا قصد هذا المعنى لجاء بمصدره الآخر وهو(هملا) وأمّا الهجران ففيه ما تجيش له النفس وتثور حزنا وكمدا،بما يشبه الفوران والغليان من لوازم الحركة والاضطراب وهو أبلغ في التصوير.

ومنه أيضا اشتقاق فعلان من الفعل(شقذ)على الباب الأول ويجري على الثاني والثالث،يقال شقذه يشقذه،أيْ:أصابه بالعين ويشتق مصدره على فعل،وفعلان لشدة الاصابة بالعين فيقال:شقذه شقذا، وللشدة،شقذانا.[٥١]

ومن الجدير بالذكر أنّ الخطاب القرآني جاء بهذه الأنواع الثلاثة وفيما يأتي بيانها فيه إن شاء الله تعالى بحسب الاستقراء وهي مفردة بحسب الترتيب الآتي:

١ــ فَعَلان(بتوالي حركة الفتحة):وهو ما دل على الاضطراب والحركة والاهتزاز فيما كان له جسمٌ ومادةٌ يلحظ عليها معنى الغليان كالنزوان،والقفزان،أو كان معنوياً كالحدثان.ولا يقتصر ذلك على باب بعينه وفيما يأتي درج ابواب الفعل التي يرد منها المصدر على هذا الوزن الصرفي بلحاظ معناه.

- فيجيء من الباب الأول نحو:فار ــ يفور فوراناً،كـ(قال يقول)

• ويأتي من الباب الثاني وهو ضَرَبَ يَضرِبُ وباع يَبيعُ.ومثاله غَلى الماء يَغلي غَلَياناً.وجَرى يَجري جَرَياناً،وهاج يهيج هياجا وهيجانا،وختل يختل ختلا وختلانا.

• ويأتي من الباب الثالث وهو باب قَطَعَ يَقطَعُ ومثال مصدره فَعَلان حيا يَحيى حيواناً وحياة.

• ويأتي فَعَلان من الباب الرابع وهو باب(طَرِب يَطرَب)ومثاله خَشِيَ يَخشَى خَشَياناً،وغشي يغشى غشيانا،وشَنِأ يَشنَأ شَنَآناً وشَنْآنا وشَنْأً(بفتح الشين وكسرها وضمها)وروى الفيروزآبادي، وقد سبق،أنّ(شنأ)يكون من باب منَع يمنَع بفتح العين فيهما،فهو على هذه اللغة من الباب الثالث،وعلى باب سمع(كسر فتح)وهو الباب الرابع.

• ويأتي على مثال الباب الخامس وهو باب كرُم،ومثاله مما جاء مصدر فَعَلان هو قَرُبَ يَقرُبُ قِرباناً وقُرباناً،وربما تجدر الاشارة هنا إلى أنّ هذا الفعل كغيره يرجع إلى أكثر من باب على ماذكر العلماء كالأزهري(ت٣٧٠هـ) وكالجوهري (ت٣٩٥هـ)الذي قال في حدّه:((قرُب الشيء يقرُب قُربا، أيْ:دنا... وقربته(بكسر الراء)أقرَبه (بفتحها)قُربانا،أيْ:دنوت منه،وقرَبت(بفتح ثانيه) أقرُب قِرابة(بكسر فائه)مثل كتبت كتابة إذا سرت إلى الماء وبينك وبينه ليلة،والاسم القرب (بفتحتين)...والقُربان،بالضمّ:ما تقربت به إلى الله عزّ وجلّ.تقول قرّبت لله قربانا.والقربان واحد قرابين الملك وهم جلساؤه وخاصّته))[٥٢]والمعنى الدنو في الجميع،فهو يكون على الباب الخامس،والرابع،والأول.

٢- المصدر فُعلان بضم الفاء وسكون العين نحو:خُسران،وكُفران،وغُفران وهو الآخر تتقاسمه أبواب الفعل الثلاثي المجرد وفيما يأتي تفصيل ذلك:

• جاء من الباب الأول نحو:كَفَرَ يَكفُرُ كُفراناً،وعَدا يَعدو عُدواناً،وعَدَواناً.وحَسَبَ يَحسُبُ حُسباناً. وحسابا،وغير ذلك.

• ويجيء أيضاً من الباب الثاني غَفَرَ يَغفِرُ غُفراناً.ووَجَدَ يَجِدُ وُجداناً،ووِجداناً.

• ومنه ما جاء على الباب الثالث نحو:قَرَأَ يَقرَأُ قُرآناً وقِراءَةً.

٣ ــ المصدر فِعلان بكسر الفاء وسكون العين نحو:رضوان،وعِصيان،ووِجدان

• ويأتي فعله من الباب الثاني نحو:عَصا يَعصي عِصياناً.

• ويأتي من الباب الرابع نحو:رَضي يَرضى رِضواناً.

٤ ــ وهناك من المصادر الخماسية المزيدة بألف ونون في آخرها على اختلاف حركة الفاء يأتي فعلها على بابين الثاني،والرابع نحو:خسر(بكسر سينه وفتحها)ومصدره خسران وخُسْرا،وخسارا[٥٣]_وطَغى يَطغو على الباب الأول،وطغى يطغى على الباب الثالث.فعلى مثال الباب الأول يكون مصدره طُغوان،وعلى مثال الباب الثالث يكون طُغيان.وخَفَقَ يَخفُقُ خَفَقاناً على الباب الأول،ويأتي على الباب الثاني بكسر عين مضارعه أيضاً.

ومن هنا يتضح عدم اقتصار أفعال هذا المصدر على باب بعينه وليس غيره.فهو كمعناه مضطربٌ ينتقل بين أبواب الفعل.ولاتلتزم بأن أفعالها لازمة،بل يأتي منها اللازم والمتعدي

وقد سبق ذكره.والقول بالشذوذ في مجيء المتعدي منها تحكم بلا حكمة؛ذلك بأنّ منه ما جاء في لغة القرآن الكريم وهو منزه عن الشذوذ والاختلاف.

د – معاني أبواب المصدر فعلان(بضم الفاء وفتحها وكسرها وفتح العين وسكونها)

إن لهذا المصدر معنى يطرد فيه،ويقاس عليه فهو باب يدخله من مصادر الأفعال كل ما شاركه في معناه،واقترب منه.ولكنّ أبواب الفعل العامة تتصفُ بمعان سرت إلى المصدر نفسه.الحقيقة أن اللغويين درسوا الفعل الثلاثي المجرد فلاحظوا أنه ذو معان لا تنحصر فيختص كل قسم منها بباب يعرف بها،وتدل عليه.وقد علل ابن يعيش ذلك في أبواب الفعل الثلاثة الأولى التي يجمعها شطر البيت المشهور(فتح ضم فتح كسر فتحتان) فأرجع ذلك إلى((أن فَعَلَ مفتوح العين يقع على معان كثيرة لاتكاد تنحصر.توسعاً فيه لخفة البناء واللفظ،واللفظ إذا خف كثر استعماله واتسع التصرف فيه))[٥٤]وهذا تعليلٌ صوتي في غاية الدقة والبهاء؛بأنّ ميل القوم إلى الخفة جعل استعمال (فَعَلَ)أكثر.لكنّ ذلك لم يقعد بهمم اللغويين عن رصد ما يقع لهم من معان تختص ببعض أبواب الأفعال فذُكر أنّ العرب يقولون باب فَعِلَ يفعَل(الباب الرابع) ((سَلِسَ يَسلَسُ سَلَساً وهو سَلِسٌ.وقَلِقَ يَقلَقُ قَلَقاً وهو قَلِقٌ،ونَزِقَ يَنزَقُ نَزَقاً وهو نَزِقٌ جَعَلوا هذا حيث كان خفة وتحركاً مثل الحَمَس والأَرَج ومثله غَلِقَ غَلَقاً لأنه طيشٌ وخفةٌ...وقد بنوا أشياءَ على فَعِلَ يَفعَلُ فَعَلاً وهو فَعِلٌ لتقاربها في المعنى))[٥٥]مما يؤكد حكمة العرب في بناء ألفاظهم بحسب المعنى المختلف والمقصود عند التكلم .

ومن هنا فإنّ القياس في بناء الأفعال بحسب أبوابها يعتمد المعنى،وربما كان المعنى وحده؛فقد ذهب الرضي الاستربادي(ت٦٨٦هـ)إلى أنّ((تغيُّر الأبنية الصرفية يكون لحاجة تغيير المعنى،ويكون للتوسع في اللغة))[٥٦]وهذا يدل على أن بعض مصادر الأفعال تؤثر في فعلها نحو:فَعَلان موضوع هذه الدراسة،فإنّ دلالته على الحركة والتهيج سرت إلى فعله،فالمعنى الذي في نَزِقَ يَنزَقُ من الخفة. وكونه لازماً،يصح قياسه على فعلان فيقال نَزَقان للدلالة على الاضطراب والحركة والاهتزاز والتهيج،((فقد جاء على فَعِلَ يَفعَلُ وهو فَعِلٌ أشياء تقاربت معانيها؛لأنّ جملتها هيج وذلك قولهم أَرِجَ يأرَجُ أَرجاً وهو أَرِجٌ وإنما أراد تحرك الريح وسطوعها،وحَمِسَ يَحمَسُ حمساً وهو حَمِسٌ وذلك حين يهيجُ ويغضب...))[٥٧].وهذا مما يشير إلى إمكان اعتماد القياس في ضبط الصيغ الصرفية بحسب المعنى وذلك يجري،عندي،على قياس صيغ اللغة الصرفية وقد أورد ابن جني ما يشير إلى أنّ القياس طريق في تثبيت اللغة فقال:((إنّ منفعة الاشتقاق لصاحبه أنْ يسمع الرجلُ اللفظة فيشكّ فيها، فإذا رأى الاشتقاق قابلا لها أنس بها وزال استيحاشه منها.فهل هذا إلاّ اعتماد في تثبيت اللغة على القياس))[٥٨]وذلك ليس إباحة في تجاوز العربية في المسموع فلا يقال في مضارع ظرُف، يظرف بفتح الراء مثلا.

وإذا كان ذلك فهل يمكن أنْ يقال بنحو القاعدة في حصر أفعال الباب الرابع أنها ما دل على حركة وخفة وتهيج.وجوابه أن ذلك قد يغلب على الباب الرابع ولا يطرد البتة لأن منه فَهِمَ يَفهَمُ.وهو ليس فيه خفة وتهيج كما في طَرِبَ يطرَبُ ونحوه.ومن هنا يمكن أنْ نقرر باطمئنان أنّ أفعال الأبواب قد تأخذ من دلالة بنية مصادرها الصرفية، ولكن ليس باطراد ويظهر أيضاً من مراجعة النفس وفكرتها في هذا الأمر أنّ بعض هذه الدلالة، كالتي في الباب الرابع في كلام سيبويه،جاء من إيحاءات المادة اللغوية(معجمياً)فالنزق في اللغة:هو الخفة فاكتسب الوزن أو الباب بعض هذه الدلالة،لكثرة ما يجيء من الأفعال الدالة على ذلك المعنى من الباب الرابع كما مثّل سيبويه.

ودرس العلماء،أبواب الفعل،فجمعها الدكتور هاشم طه شلاش(رحمه الله تعالى)في كتابه أوزان الفعل ومعانيه. بما يغني عن إعادتها هنا لكنه توصل إلى أن معاني أبواب الفعل الثلاثي المجرد لا تكاد تنحصر ولذلك لم يحاول اللغويون استقصاء معاني أوزانه وإنما نظروا إليها نظرة عامة[٥٩]ومن هنا يمكن القول:إنّ المصادر وأفعالها لا تضبط لها من أوزانها معانٍ،وإنما قد يغلب عليها معنى من كثرة ورود الفعل عليه ولا يطرد له الباب.

أمّا المصدر فعلان(بفتح وضم وكسر الفاء) فقد جعله العرب الفصحاء في استعمالهم للدلالة على الحركة والاضطراب والهيجان على مثال غليان والنقزان والطيران،وربّما كان ذلك في أصل الوضع؛لأنّهم لا يبنون الألفاظ على مثاله إلا لتلك الدلالة،أمّا أفعال(فَعَلان) فهي دالة على الحركة بمادتها اللغوية المعجمية لا بباب وزنها الصرفي نحو:قول لبيد بن ربيعة(من الكامل)

يغلُو بها حَدَبَ الإكامِ مُسَجَّحٍ قد رابه عِصيانُها ووِحامُها[٦٠]

فإنّ المعصية تحتاج إلى عناد وتدافع بحركةٍ مضطربة.فصيغ على مثال(فِعلان)أمّا فعلها فإن بابه لا يدل على ذلك إلا من جهة معناه المعجمي.وكذلك بيت الحماسة في قول بشر بن خزيمة(من الطويل)

أَتخطِرُ للأشراف ياقِرْدَ حِذْيَم وهل يستعد القِرْدُ للخَطَران[٦١]

والخطران،في البيت الشاهد،هو رفع الفحل ذنبه عند الهياج،واصله في اللغة الإشراف على الهلاك،والسّبق الذي يتراهن عليه،ويقال خطرَ الرمح خَطَراناً اهتز،وقيل خطران الرمح اهتزازه وارتفاعه وانخفاضه للطعن عند التصاؤل والوعيد والنشاط لذلك[٦٢]فلما كان معنى اللفظ هذا جعلوه على فَعَلان.وهذا مطرد بابه[٦٣]إذ يعد المعنى أصلاً يقاس عليه،ويصاغ هذا المثال للإشارة إليه.إذ يمكن أن يقال:لهثان وعَطَشان لما في العطش من تهيج النفس وتقلبها طلباً للماء والريّ.قياساً على أمثلة الباب.

٣- قراءة المعنى الصرفي للمصدر فعلان ومعطياته التفسيرية(الاستقراء والنتائج)

القرآن كتاب أحكمت آياته صنعاً وبياناً وتدبيراً.ومن مظاهر الإحكام فيه،فيما يخص موضوع هذه الدراسة،أنّ الخطاب القرآني شديد المناسبة بين اللفظ في بنائه النحوي وبنيته الصرفية وبين المعنى القرآني المقصود في موضعه من سياق الآية فإنّ اللفظ فيه لا يصلح تقدير غيره،ولا يؤدي غيره معناه وبهذا تصبح البنية الصرفية بيانا كاملا تشير في ضوء معناها إلى المعنى الكلي للآية بما يترشح عنه تفسيرا كما سبق بيانه في الفقرة الثانية من هذه الدراسة باعمال الشرط واهماله في تضعيف الفعل من آية في البقرة والمائدة،وكان طريق البيان عن المعنى هو البنية الصرفية ومؤشرات السياق .

إنّ التفسير صناعة شريفة يستمد معناه من دلالة الألفاظ في سياق الخطاب القرآني؛إذ إن للألفاظ في نظام تأليفها وتماسكها في القرآن الكريم،وفي كل كلام فنيّ فصيح دلالات أربع هي دلالة المنطوق،ودلالة المفهوم،ودلالة الاقتضاء،ودلالة الإشارة بحسب الترتيب[٦٤].

ويبدو أنّ دلالة المنطوق هي النواة الرئيسة في بلوغ الدلالات الأخرى،وأنّ نظام تأليف الألفاظ،نحويا،ونوع بنائها الصرفي عنصران رئيسان في إحكام المعنى الظاهر،واستنطاق الجملة القرآنية لنشره.ومن هنا اعتمدت هذه الدراسة على الألفاظ في بنائها الصرفية ونظامها النحوي للوصول إلى القرآن الكريم وفيما يأتي بيان ذلك بحسب استقراء هذه البنية:

أولا: استعمال المصدر فعلان خاصة:يستعمل المصدر(فعلان) من دون غيره مما يشاركه في الدلالة على الحدث نفسه.كالفعل شنأه، شنئاً وشنآناً،وقد ورد في القرآن الكريم المصدر شنآن،مرتين ولم يرد مصدره شنئا وكذلك المصدر (بُهتان) و(رِضوان) و(قُرآن).وفيما يأتي تفصيل ذلك:

أ / قال تعالى:{وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا}(المائدة٢، ٨)و(فَعَلان) في الآية على ما في مثال الغليان والهيجان ذلك بأنّ((الشين والنون والهمزة أصل يدل على البغضة والتجنب للشيء ومن ذلك الشنوءة وهي التقزز...وهو الشنأن))[٦٥]وتقرأ الآية بسكون العين. والقراءة المشهورة فتح العين[٦٦]فمن سكن إنّما أراد الصفة بنحو(عطشان)المشبهة لاسم الفاعل أو أنّه جاء على أصله قبل دخول الألف واللام عليه[٦٧]ويذكر الزجاجي(ت٣٤٠هـ)إنّما يكون الشنآن غير مهموز في اضطرار الشعر والّا فهو مهموز لاغير[٦٨].

ونقل الزبيدي(ت٣٧٩هـ)عن السفاقسي(ت٥٠٥هـ)أنّه يجعل دلالة(شَنَآن)على مثال الغليان من الشذوذ:قال((فإنّما هو شاذ في المعنى لأنّ فَعَلان إنّما هو من بناء ما كان معناه الحركة والاضطراب كالضَرَبان والخفقان))[٦٩]وأجيب على ذلك:

بأنّ في الغضب غليان القلب واضطرابه فلذا ورد مصدره كذلك.فقال:((لا ملازمة بين البغض والغضب إذ قد يبغض الإنسان شخصاً وينطوي على شنآنه من غير غضب))[٧٠]وهذا

الكلام يخالف حقيقة ما ينطوي عليه فَعَلان في الدلالة على الهيجان والاضطراب ويبدو أنّ السفاقسي لايحدس ذلك، ولا يستشعره من قرائن السياق في الخطاب القرآني.

فقوله تعالى(لا يجرمنّكم)في الآيتين اللتين وردت فيهما بنية فَعَلان(شَنَآن)عن ابن عباس أنّ (يَجرِمَنّكم)بمعنى يحملنكم،وشنآن عداوة[٧١]وقال الكسائي(ت١٨٩هـ)((جرم وأجرم أي كسب)) [٧٢]

فإذا كان الشنآن لا هيجان فيه ولا اضطرابَ نفسٍ فلم ينهاهم الله عن أن يحملهم ذلك على الاعتداء؟وجوابه أنّ البغض شحنة من هياج العواطف ضد المبغَض(المفعول) فيظهر ذلك في كلام المبغِض(الفاعل) وسلوكه بما يعبر عما في داخله من الكراهية تجاه الآخر.ويتضح ذلك من قراءة تقارير علماء النفس.فإذا كان موضوع علم النفس دراسة علاقة الإنسان مع بيئته إذ هي علاقة أخذ وعطاء بل علاقة فعل وانفعال وتأثير متبادل وصراع موصول فإنّ العلماء قد رصدوا حالات الغضب والبغض والحقد أنها تؤثر على السلوك الإنساني وانفعالاته((فالإنسان حين يغشاه انفعال كالخوف،أو الحزن أو الغضب،فإنْ هذه التأثيرات الوجدانية والانفعالية تصاحبها تغيرات أو اضطرابات حسية(جسمية) وفسيولوجية قد تكون بالغة الخطورة إن أزمن الانفعال،فقد اتضح أن القلق المزمن الموصول قد يؤدي إلى ظهور قرحة في المعدة أوالاثني عشر،وأن الكراهية المكظومة لمدة طويلة قد تؤدي إلى ارتفاع خبيث في ضغط الدم...كل هذا فضلا عن التعبيرات الحركية والسلوكية الظاهرة التي تصحب الأفعال))[٧٣]فتكون تلك الحركة هيجانا باطنيا واضطرابا سلوكيا يظهر على الشانئ يستفز الآخر(المشنوء) فيحمله على الردّ الذي كان النهي عنه موضوع الآية،محل الشاهد.وهذه الحركة السلوكية هي ما تعبر عنها الألفاظ بالبناء النحوي مرة،وبالبناء الصرفي أخرى،وربما كان للصوت أثر في ذلك أيضا.

ب/ ومما جاء فيه(فعلان) وحده من دون أنْ تشاركه صيغة أخرى لمصدرَ فعله نحو:(رضوان) فقد تكرر في القران ثلاث عشرة مرة،قال تعالى:{لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ}(آل عمران١٥)وقال تعالى:{قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ}(المائدة ١٦)

فالسياق ناطق بمعنى(فِعلان)من التحرك والتقلب في البنية الصرفية (رضوان) مصدر رَضِيَ يَرضَى من الباب الرابع((الراء والضاد والحرف المعتل أصل واحد يدل على خلاف السخط،ويقال: إنّ أصله الواو؛لأنّه يقال منه رِضوان))[٧٤]وفعله لازم،ومتعدٍ فيقال:رَضِيَ زيد،ورضيت الإسلام دينا ويتعدى بالحرف نحو:رَضِيَ عنه وعليه رضا ورضوانا.والنظر في هذه الصيغة يؤدي إلى الجزم بدلالتها على الحركة والتقلب وقد يتصور غير ذلك؛لأنّ الرضا ضد السخط.

إنّ ما يثيره السخط في النفس من رفضٍ وتعنيف يثير ضدُّه الرضا فيها على نحو المقابلة حذوك الأثر بالأثر،قال تعالى:{أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ}(آل عمران١٦٢)واستعمال القرآن للرضْوان على معنى التقلب والحركة بقرينة سياق الآيات في الخطاب القرآني فبعد أنْ عدد ما للذين أنفقوا عند ربهم من الجنات والأنهار،والأزواج،ذكر الرضوان منه تعالى شأنه؛وهو دال في سياقه على مزيد مما ذكر.

يتقلبون فيهِ وهو ما عليه التفسير بأنّ رضوانه أعلى منازل كرامة أهل الجنة فهو دال على تقلبهم بنعمة الله في الجنة وانتقالهم من حالٍ في النعمة والإحسان.ووضوح ذلك أشدّ في قول المفسرين:إنّه تعالى يهدي الذين اتبعوا رضوانه سبل السلام(٧٥)والسبيل هو الطريق الذي يلزم تصوره تصور الحركة والمسير فيه وأداء الفعل فإنّ((سُبل السلام:طرق السلامة والنجاة من عذاب الله))(٧٦)فيكون رضوانه طريقاً يسلُكُه المؤمنون في الخروج من الظلمات إلى النور والله أعلم.

والنظر في المادة اللغوية لرضوان يعني ما يؤول إلى السرور فلا شكّ أنّ من رضي عن شيء أو عليه أو رضيه قد سُرّ به كما لا يخفى ما للسرور والرضا من آثار نفسية لدى المخلوق من جزاء المرضي عنه،كالشكر له،والثناء عليه،والعطاء كلّ ذلك دالّ على الحركة وينشأ عن هيجان النفس بالمرضي وسرورها به.وبرد هذا على الذات الإلهية تجد صريح الآية أنّ الرضوان يتبعه تقلب في النعيم من الجنة والأنهار والأزواج المطهرة،والفاكهة وغير ذلك مما في الجنة.فتقلب الذي دخل رضوان الله واتبعه بالنعمة المتعددة مدلول عليه ببنية فعلان الصرفية.

ومن يتصور أنَّ الرضا مقرون بالاستقرار والهدوء،وكونه مقابلا للسخط لايعني أنّه مثله،وإنّما هو نقيضه فذلك ليس بسديد والاستقرار لا يتصور اقترانه بالقناعة لما لها من آثار نفسية.فالسخط يثير مشاعراً وينشأ عنه سلوك يقابله الرضا وما يثيره من المشاعر وما ينشأ عنه من سلوك.

ج /وجاء،أيضاً،المصدر (قُرآن)في الخطاب القرآني دالاً على الحركة والتقلب والاضطراب، وأرى،بحسب الاستقراء،أنّه جاء على نوعين:

<u>الأول</u> أنّه جاء للدلالة على الذات بمعنى التنزيل المقروء وهو المعرف بـ(الألف واللام) فصار دالاً على الذات من الكتاب المنزل.فالدلالة الاسمية له حالت بينه وبين دلالة المصدر.كقوله تعالى:{ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ}(الإسراء ٩)وقال تعالى:{وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ}(الروم ٥٨)وذلك أنّه جاء بصيغة المصدر ولم يأت بمعنى المصدر فإنّ((القاف والراء والحرف المعتل أصلٌ يدلُّ على جمعٍ واجتماع،ومن ذلك القرية...وإذا همز هذا الباب–أيْ:قرى – كان هو والأول سواء...ومنه القرآن:كأنّه سمي بذلك لجمعه لما فيه من الأحكام والقصص وغير ذلك...))(٧٧) وبالنسبة لقول ابن فارس(القاف

والراء والحرف المعتل)خلط بين جذرين وهما قري ومنه القرية،وقرأ المهموز ومنه القراءة المعروفة والقرء بمعنى الحيض أو الطهر لاجتماع الدمّ الذي تخرج به المرأة من طهر لحيض وبالعكس وفيه نظر؛ ذلك أنّ الفعل قرأ يصنف فعلا صحيحا مهموزا،وأنّ الهمزة ليست من حروف العلة.

الثاني جاء بمعنى المصدر،للدلالة على الحدث من القراءة نقول((قَرَأَهُ كنَصَرَهُ قَرْأً وقِراءَةً،وقَرآنا))[٧٨]وهنا تكون دلالته دلالة تلاوة قال تعالى:{فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا}[الجن ١]وقال تعالى:{لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ}[القيامة١٦– ١٨] فجليٌّ إرادة المصدر(الحدث) من لفظ القرآن بقرينة قوله: (سمعنا،جمعه،قرأناه، فاتبع).

ودلالة لفظ(القرآن)على الحركة والتقلب والاضطراب من جهة تعلق القراءة أصلا بالنطق والعضو الفاعل في أداء هذا النطق هو اللسان بتحركه وتقلبه بين مخارج الحروف واضطرابه في التحول من مخرج إلى آخر بمعنى عدم ثباته عند نطق المفردة الواحدة ذات الحروف المتباينة في المخرج . والتحريك صريح قوله تعالى:{لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ}[القيامة ١٦] فالضمير في قوله(به) راجع إلى الكتاب المنزل والوحي قال تعالى:{وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ}[طه ١١٤]وأُرى أنَّ مجيء المصدر(قُرآناً) للدلالة على طلب القراءة بإتقان المخارج،ومدّ الحروف، وإدغامها ونحو ذلك مما عليه علم التجويد اليوم. والمطلوب لا يتحقق إلا بتقلب اللسان واضطرابه في جوف الفم للأداء الصحيح وما في ذلك من فرق بين مخارج نطق الحروف،والإشارة إلى ذلك تكون في ضوء بنية المصدر الصرفية ومادته اللغوية.

ومن جهة أنه تنزيل من العزيز الرحيم،أُلفت حروفه وانسجمت مع معانيه فأثارت في نفس من استمع له ما أثارته من قولهم إنّا سمعنا قُرآناً عجباً.وذلك تعبيرٌ عما في نفوسهم من الدهشة والإعجاب.ولم تكن الآية مسوقة بنحو الإخبار، ولذلك عندما أرادت الخبر قال(كتاباً) بدل قرآنا وذلك قوله تعالى:{وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا}[الأحقاف٢٩].

د/ يطرد معنى(فعلان)بأنواعه الثلاثة في الخطاب القرآني،وهي سواء في ذلك أكانت المادة اللغوية له داله على هذا المعنى كالضربان والخفقان والطيران ونحوها أم لم تكن كذلك؟.

جاء المصدر(بهتان)((الياء والهاء والتاء أصل واحد وهو كالدهش والحيرة))[٧٩] وهو من الباب الثالث(فتح فتحِ) فبَهَتَهُ بهتاً وبُهتاناً.وهو على ثلاث لغات بفتح وكسر وضم العين[٨٠]والبُهتان:الحيرةُ يقال:بُهت الرَجلُ إذا دهش وتحير،وجاء البهتان في الخطاب القرآني بما يقابل الافتراء والظلم وجاء فعله بمعنى الحيرة[٨١]قال تعالى:{وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا

ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا}(النساء١١٢)وقال:{مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ}(النور ١٦)وقال في صفات المؤمنات اللاتي يبايعن الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم):{وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ} (الممتحنة ١٢)وقال:{...وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا}(النساء ١٥٦)فالبُهتان في هذه الآيات وغيرها مما ورد في الخطاب القرآني دالٌّ على الظلم وهو مما لايكتسب إلا بالحركة والتقلب بالباطل وهيجان النفس واندفاعها على ارتكابه والمعنى:إنّ ذلك كله بهتان لاتجاهه بصفة الظلم ومعلوم من جهة الواقع ما للظلم من إثارة وحركة في نفس المظالم وفعله،وعلى المظلوم نفسه.

ومن هنا يكون ما نقل عن الكسائي(ت١٨٩هـ) قوله في تفسير(البهتان) من قوله تعالى:{فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا}(النساء١١٢)إنّه دهش وتحير ليس بسديد؛وهو تفسير للفعل(بُهتَ)من الجهة اللغوية فحسب(٨٢)؛ ذلك أنّه يحمل بصيغته الصرفية معنى المضطرب فيما احتمل من الكذب والبهتان بمعناه اللغوي، فالصيغة الصرفية تصوّر حال المحتمل بهتانا ذهنيا يرقى لتجسيده حسيا.

وبعيدٌ ما ذهب إليه المفسرون بأنّ(البُهتان)في الآيات هو الافتراء والكذب(٨٣)؛لأنّ ذلك جزءٌ من الظلم والخطاب القرآنيّ بقرينة السياق يريد الظلم كله وآثاره الوضعية والنفسية ولذلك تجد فيه تعداد الأمور التي تكون من أفراد الظلم،ويكون الظلم بها جميعاً وجعله في رمي مريم عليها السلام بالزنا حصرٌ للمعنى وتضييق لأفق الآية.

فقوله تعالى:{وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا}(النساء٢٠)فالبهتان هو الظلم بغير حق أو اعضالهُنّ وضربهُنّ ليفتدين منكم بما أتيتموهن،وهو ما عليه الطبري(٣١٠هـ)(٨٤)وهو الصواب والله اعلم.

وما ذهب إليه الزمخشري(٥٣٨هـ) في تفسير البهتان في هذه الآية أنه رمي الزوجة المراد تطليقها بفاحشة(٨٥)هو احد أفراد البهتان لمعنى(الظلم) وفي اللسان في تفسير البهتان في هذه الآية ((والبهتان الباطل الذي يُتحيَّر من بطلانه))(٨٦)وتفسيره في هذه الآية بالظلم أعمّ وأنسب مع عمق القرآن وسعة معانيه.

وتفسيره في قوله(ولايأتين ببهتان بين أيديهن وأرجلهن...)بالظلم،والأيدي والأرجل كناية عن السعي بالظلم وهو أعم مما ذكر بأنّه الافتراء أي افتراء النساء قولا يلصقن بأزواجهن غير أولادهم. ويكون ذلك أعمّ من الافتراء فإلصاق ولد الزنا واللقطة بالزوج والسعي فيه وفي غيره كله من الظلم. فالمشروط المنهيّ عنه أعمّ من الافتراء،وتكون اليدان والرجلان قرينة على ما تحمله المرأة في بطنها من الزنا وتنسبه للزوج،واليدان قرينة على ما تحمله من الولد بينهما لإلصاقه بالزوج فكل ذلك منهيٌّ عنه.ويلاحظ ثمَّ قرينةً على معنى الظلم في لفظ(بهتان)الدال على الحركة والاضطراب هي قوله (احتمل)الذي تكرر لفظه مع لفظ البهتان مرتين كالذي في سورة النساء في الآية الثانية عشرة بعد المئة،وسورة الأحزاب في

الآية الثامنة والخمسين والحمل والاحتمال كلاهما من الأثقال التي تضطرب حركة حاملها فجعل ذلك قرينة على صرف الذهن تجاه تنزيل البهتان منزلة الثقل وجعل للبهتان ما للأثقال من الحركة المضطربة وتمايل حاملها من شدة ثقلها.زيادة في أنّ البهتان هو ما يتحير أمامه من عظمة شأنه[٨٧]وفي التحير هيجان واضطراب النفس بما فيه الكفاية في الدلالة على حكمة التعبير بـ(فَعَلان).

ومن جهة أنّ المعنى الصرفي مفتتحٌ تفسيريٌّ ففيه بيانٌ يصوّر الحال مع البهتان وقساوته بما يكون رادعا عن ارتكابه فدلّ على معنى الآية كله بأنّ من يفعل ذلك يكون من البهتان وهو ثقيل ينوء به حامله ويضطرب تحته كما يضطرب الحمّال تحت الأثقال مما يجعل هذه البنية الصرفية فعلان ومعناها قد صورت حال الظالم من الافتراء والكذب وغيره مما يقترفه من المعاصي.

هـ –ومن ذلك أيضا مجيء(طغيان) وليس غيره من المصادر التي تشترك معه في جذره الصرفي ومعناه اللغوي فإنّ((الطاء والغين والحرف المعتل أصل واحد منقاس وهو مجاوزة الحدّ والعصيان))[٨٨]فيقال:طَغِيَ يطغى أسرف في الظلم وتجاوز القدر في المعاصي والتكبر في التقلب بنعمة الله،والمصدر طُغيانا(بضم الفاء وكسرها على لغتين) وطَغا الماء والمكان ارتفع يَطغو طغوا وطُغوانا والطغوة المكان المرتفع[٨٩]

فالجذر ناقص بالواو وبالياء .وأرى أنّ المصدر هو الفارق بين المعنيين ففي معنى زيادة الظلم وارتفاعه يقال طغي يطغى طغيا وطغيانا وهو على الأصل من الياء أبدا.وطغا يطغو طَغْوا وطغوانا فيما هو ارتفاع وتجاوز الحد ممّا ليس بظلم كارتفاع الماء والأرض وتكون الألف التي هي لام ماضيه مقلوبة عن الواو.

طَغِيَ يطغَى(بكسر العين في الماضي وفتحها في المضارع) فيهما من الباب الرابع،وطغا يطغو من(الباب الأول) طُغياناً وطَغواناً فيقال:والطُّغيان والطَّغوان،واحد في المعنى،وقوله تعالى:{كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا}(الشمس١١) ((يعني طغيانها وهما مصدران إلاّ أنّ الطغوى أشكل برؤوس الآيات فاختير لذلك...وفعلى إذا كانت من ذوات الياء أبدلت في الاسم واواً ليفصل بين الاسم والصفة.تقول هذي تقوى وإنما هي من تقيت ...))[٩٠]والمعنى ادعائها الارتفاع وظلمها فلما كان المعنى مشتملا على الارتفاع والظلم كان الاسم على الواو جاء عن العكبري(ت٦١٦هـ)أنّ((الطغوى فعلى من الطغيان والواو مبدلة من الياء مثل تقوى ومن قال طغوت كانت الواو أصل عنده)) [٩١]ولست أتفق مع العكبري رحمه الله تعالى وإنّما الواو في طغوى أصلية ولكن لما كان المعنى المقصود بيان ادعاء ثمود الارتفاع المجرد في الأرض وأنها ظالمة فيكون ارتفاعها ظلما عبر بما أصله الواو للدلالة على الارتفاع وادعاء القدرة في عقر الناقة وعن الظلم بقرينة السياق،والله أعلم.

وجاء في الخطاب القرآني على هذا المعنى قال تعالى:{وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا}(المائدة٦٤)وقد ورد الطغيان مقرونا بالكفر بصورة العطف في غير هذه الآية أيضاً (٩٢)وقال تعالى:{فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا} (الاسراء٦٠)وقال تعالى:{وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ} (البقرة ١٥)وقد جاء ذلك في غير هذه الآية متكرراً(٩٣)والطغيان(فعلان) دال على الحركة والهيجان ببيان يغني عن الحديث،في مجاوزة الحدّ (٩٤).

إنّ في تجاوز الحد ما فيه من الحركة والاضطراب لأن التجاوز نفسه قائم على الحركة بأنه فعل من جهة الحركة الاضطراب السلوكي في الوجدان الخارجي.وأمّا من جهة الهيجان والاضطراب النفسي فمبلغه أكبر من نفوس الطغاة؛ذلك بأنّه يمثل الدوافع السلوكية للطغيان المتجاوز للحد وكفي في بيان ذلك أنه جاء كناية عن العقوق في قوله تعالى:{فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا}(الكهف٨٠) وفُسِّر الطغيان هنا بالعقوق والتجاوز(٩٥)فاقتران الطغيان بالكفر،ووصفه بأنّه كبير،ووصف حال الطغاة بأنّهم يعمهون دالٌّ على الجحود وخرق الطاعة بما هو دليلٌ كاف على معنى الهيجان واطراده في صيغة فعلان المصدر.زيادةً على وضوح ما في العقوق من الآية السابقة وقوله خشينا بمعنى الخوف أو الحذر إنْ كان من مقول الخضر،وإنْ كان من قوله تعالى فيكون بمعنى علمنا أو كرهنا لعدم خوفه.(٩٦)والله تعالى أعلم.

ثانيا:استعمال المصادر المتعددة(متحدة الجذر مختلفة البنية والدلالة)

أ/أحكم القرآن استعمال المصدر(فَعَلان) وأخويه بحسب حركة الفاء،فتراه يعدل أحياناً عنه إلى بناءِ صرفي آخر يشاركه في جذره اللغوي وكلاهما مصدران للفعل نفسه كقوله تعالى:{وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ} (العنكبوت ٦٤)قال تعالى:{الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا}(الأعراف ٥١)وغيرها كثيرٌ،وقد جاءت كلمة(الحياة)في القرآن إحدى وسبعين مرة.

وجاءت كلمة الحيوان مرة واحدة في القرآن جميعا .والملاحظ أنّ الموضوع في الخطاب القرآني هو موضوع هذه البنية أو تلك،دال على المعنى المقصود(فالحاء والياء والحرف المعتل أصلان احدهما خلاف الموت والآخر الاستحياء وهو ضد الوقاية فالأوّل الحياة والحيوان ضد الموت والموتان))(٩٧)فما الفرق بين الاستعمالين ؟

أرى أنّهما يدلان على الحركة والتقلب وقد استعمل في الخطاب القرآني بمستوى المعنى نفسه وبأنماط متعددة مع وجود عدد من القرائن الدالة على المعنى.فالقرآن محكم صفته اللمح والإيجاز فلا تكرار وإطناب إلا بحكمة معنى يطلب ذلك.

والحيوان:وزن صرفيٌّ على(فعلان) دال على الحركة والتقلب والتهيج بانبعاث الرغبة والتجدد في الحركة،وأراها متخصصة بوصف الآخرة،وإنما جاءت في القرآن كذلك لتخصيص الآخرة أولا بمزيد حركةٍ وتقلب في نعم الله؛لأنّ الخطاب لم يفصلْ هذه الحياة

فيمتد لحيازة القرآن الدالة على الحركة والتقلب فيستعمل لها لفظ الحياة ثانيا.فجاء لفظ الحيوان في سياق الخطاب من غير القرآن لكفايته في الدلالة على تمام الحركة والتقلب .

جاء الخطاب في كل الآيات التي وردت فيها لفظة الحياة مليئا بالقرائن التي تجعل لفظ(الحياة) يدل على ما يدل عليه لفظ الحيوان.والقرائن في الآيات التي أوردناها هي(لهوا،لعبا،غرور،غرتهم، يسخرون،البشرى،الحرص،كمثل ريح فيها صرّ،أنزلناه من السماء،فاختلط به نبات الأرض،كان يريد الحياة الدنيا وزينتها،ستحبون الحياة الدنيا،حياتنا الدنيا نموت ونحيا...) كلّها قرائن دالة على الحركة والتقلب فتضفي هذا المعنى على لفظ الحياة الوارد في سياق الخطاب القرآني فلفظ(الحياة) دال على ما دلّ عليه(الحيوان)فالآيات جميعاً مصطبغة بصيغة المعنى نفسه وكأنّ الخطاب ناطق(بالحيوان) وإن فهم المعنى الصرفي،وقراءته في ضوء البنية الصرفية وقرائنها السياقية ليهدي إلى تفسير تلك الآيات.

وفي هدي هذا المعنى الصرفي بُنِي تفسير الآية فذهب الطبري إلى أنّه يعني دوام الحياة وعليه بنى الدكتور فاضل السامرائي رأيه بأنّ المعنى كمال الحياة [٩٨]

وما ذهب إليه الزمخشريّ(ت٥٣٨هـ)أليق بفهم المعنى الصرفي إذ قال في تفسيرها:((أيْ:ليس فيها إلاّ حياة مستمرة دائمة،والحيوان مصدر حيّ،وقياسه حييان،فقلبت الياء الثانية واوا،كما قالوا:حيوة،...،وبه سمي ما فيه حياة:حيوانا.وفي بناء(الحيوان) زيادة معنى ليس في بناء الحياة،وهي ما في بناء فعلان من معنى الحركة والاضطراب،كالنغصان، واللهبان،وما أشبه ذلك.والحياة:حركة، كما أنّ الموت سكون،فجيء على بناءٍ دال على معنى الحركة،مبالغة في معنى الحياة ولذلك اختيرت -يعني فعلان-على الحياة في هذا الموضع المقتضي للمبالغة))[٩٩] ولاشك أنّ زيادة المبنى تلحقها زيادة المعنى.وهكذا يستعمل الخطاب القرآني الأبنية الصرفية بحسب إرادة المعنى الذي ترشد إليه بنية اللفظ ووزنها الصرفي.وقال الطبرسي (ت٥٤٨هـ)((والحياة عرض يصير الأجزاء بمنزلة الشيء الواحد.حتى يصح أنْ يكون قادراً عالماً.وخاصية الحياة الإدراك.وقوله(لهي الحيوان)أي الحياة على الحقيقة لدوامها وبقائها لا زوال لها،ولا موت فيها.))[١٠٠]ودوامها حركتها.

ب – اطراد بنية فعلان في دلالتها على حدّ معنى الغليان والهيجان ونحوهما ولا تنحصر في المواد اللغوية للألفاظ الدالة على الحركة والاضطراب كالضربان،فهناك ألفاظ كالحُسبان والكفران، والبهتان،والغفران،ونحوها مما قد لا تتصور دلالتها على معنى(فعلان)الصرفي.ولكنها جاءت في الخطاب القرآني دالة عليه بقرينة سياقيه.قال تعالى:{الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ}(الرحمن ٥)فعطف الشمس والقمر على الليل والمعنى وجعل الشمس.فقوله(بحسبان)يعني جعلهما ((يجريان بحسبان)) [١٠١]أو أنّهما يتحركان ويجريان بحساب ومنازلٍ لا يعدوانها[١٠٢]فقوله تعالى:{وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى

يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ}(الرعـد ٢) فجريانهما حركة يصحبها بحسب التقارير الفلكية قدرٌ كبيرٌ من الضغط والاهتزاز والتفاعلات الفيزياوية المهولة التي تصدر عن الشمس(١٠٣)

ومن هنا عندما لايريد معنى الحركة والهيجان في فعلان يستعمل صيغة أخرى للمصدر نفسه للمادة اللغوية نفسها بحسب موضوع الآية.فاستعمل المصدر حسابا لأنّه وصف للجزاء قال تعالى:{أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وبِئْسَ الْمِهَادُ} (الرعـد١٨)والحساب الجزاء(١٠٤)وهو عدّ الذنوب ومنافستهم عليها فوصفه (بسوء) غنيّ عن إيراد(فعلان)لدلالته.

فالقرآن محكم ودقيق في وضع الألفاظ والبنى الصرفية لها موضع التعبير المحكم والبناء النحوي جاء على الإخبار بأنّ لهم سوء الجزاء ولم يردْ تصوير حالهم في ذلك اليوم.فالخبر وصفٌ للحساب بأنّه سيءٌ،ولم يكن خبرا عن الحساب نفسه بدليل الإضافة وهو نسبة السوء إلى الحساب.ولاشك أنّ في كونها حسبانا تقدير لحركتها وتعاقب الليل والنهار بينهما، فيكون (فعلان)في الآيتين دالا على الحركة بوضوح كاف،أمّا من جهة كونه حسبانا للشيء ومتابعة عدده ففيه تحريك للفكر وللبدن.وحسبان:مصدر حسبت الشيء احسبه،من الباب الأول،وهو الحساب،فيكون حسابا على القياس وحسبانا على ضمّ الفاء وكسرها (١٠٥)وشان القرآن استعمال الألفاظ على قدر تناسبها مع المعاني.

ج – واستعمل القرآن الكريم ثلاثة مصادر لفعل واحد باختلاف المعاني والأبنية فترى ثلاثة مصادر للفعل عدا يعدوا من الباب الأول وهي عداوة،وعدوا، وعدوان، بضمّ الفاء وفتحها.قال تعالى:{ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا}(النساء ٣٠)وقال:{فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ}(البقرة ١٩٣)وقال:{وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ}(المائدة٦٢)فيلاحظ على سياق الخطاب الذي وردت فيه كلمة(عدوان)أنّه يتطلب المعنى المتدفق من الحركة والتهيج والتقلب والتدافع للمصدر على مثال الغليان.

و(عَدَوان)أو(عُدْوان)مصدر عدا((العين والدال والحرف المعتل أصلٌ واحدٌ يدل على تجاوز في الشيء وتقدم لما ينبغي أن يقتصر عليه،والعَدَوَان هو كثير العدو على الناس،والعُدوان الظلم الصراح،والاعتداء مشتق من العدوان))(١٠٦)وفي هذا نظرٌ؛ذلك بأن الآية قالت:(عدوانا وظلما)وإنّما هما مصدران وذكر أنّ العُدوان والظلم بمعنى واحد،والعدوان(بفتح الفاء والعين واللام)في عبارة ابن منظور أنّه شديدُ العدو،وكثيره(١٠٧)وفيه نظرٌ أيضا،فهل يمكن استعماله في سرعة الاعتداء كسرعة العدو لاشتراكهما في الدلالة على تجاوز الحدّ المألوف.

والمسارعة في الاعتداء فيه دلالة عالية مما تعطي الآية معنى مزيدا على مجرد الحركة والتهيج في بنية المصدر الصرفية فإنّ معنى يسارعون يشرعون بالفعل بسرعة من دون توان. ومن هنا جاء المصدر مسبوقا بـ(لا)من قوله تعالى:{فَلَا عُدْوَانَ}(القصص ٢٨)للدلالة على

النهي عن الحركة بهذا الاتجاه وبمعنى لاتتحركوا بالاعتداء علية وبعث النفس على السلوك العدواني فإنّ النهي يتضمن معنى ترك بعث النفس على الفعل وهو تفسير لفظ النهي في الآية.

فالقراءة المشهورة في الآيات(ضم العين)وهو الاعتداء وهذه الزيادة لظهور معنى الحركة من الاعتداء المتكرر.ولعل نطق المصدر على ثلاث دفعات يدل على تكرار الفعل وليس مرة واحدة . هكذا ينطق(عُدْ ـــــ وا ـــــ ن)وإنّ تتابع الفتحة في(عدوان)دال على الشدة في تتابع حركة أداء الفعل واستمرارها وتؤكده قرينة(يسارعون)السياقية ولفظ النهي في الآية السابقة.وفي هدي هذه القراءة الصرفية لمعنى المصدر ببنيته الصرفية ومادته اللغوية تبين المعنى التفسيري بحسب الترتيب فالأولى تصدرها قوله(بفعل)والفعل في عرف النحويين دال على الحركة والتجدد وختمه بجواب الشرط(فسوف نصليه نارا)وهو فعل دال على الحركة والتجدد.فالآية متدفقة بالحركة إذ جاء بناء الفاظها بحسب دلالات بنيتها الصرفية من المصدر والفعلين مما يعدّ بيانا للمعنى القرآني من جهة التفسير في هدي المعنى الصرفي .

فإنّ من فعل ذلك بإضماره في نفسه غير مشمول بالجزاء في ذيل الآية؛وإنّما المقصود نهى الفعل في الخارج بما هو حركةٌ مؤثرةٌ،فموضوع الآية النهي عن القتل،وأكل الأموال بالباطل؛والمنهي عنه السلوك الفعلي وليس النية والإضمار.فإنّ من نوى،من جهة الفقه وأصوله،القتل ولم يفعل ندما أثيب على تراجعه،ومن لم يفعل لعارض مانع لم يكتب عليه عقاب وهو مشهور أفشى من شعاع الشمس.وهذا المعنى من النهي عن الحركة يظهر جليا في طلب الانتهاء في قوله تعالى بعد الأمر بقتال الذين يقاتلون المسلمين{فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ}(البقرة ١٩٣)،أيْ:لا تقاتلوهم والمنهي عنه الحركة في قتالهم وليس ترك إضمار العداء لهم بما يوجب الحذر من غدرهم وهو ما يؤيده تفسير العدوان بأنّه ((لاتعدوا على المنتهين))(١٠٨)عن قتالكم وذلك جاء على جميع الآيات التي ورد فيها المصدر عدوان.

قال تعالى:{تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ}(البقرة ٨٥) فان للتظاهر معنى فعليّا يدل على الحركة بما يتلاءم ومعنى بنية فعلان،وفي آية التناجي من قوله تعالى:{وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ}(المجادلة ٨) وقد لايتصور المعنى المذكور سابقا من دلالة الغليان والهيجان في البنية محل البحث .

بل المعنى واضح جدا لان التناجي من مقولة الافتعال والتفاعل وإنّ((يتناجون على وزن يتفاعلون وقرأ يحيى وحمزة والأعمش ينتجون على مثال يفتعلون))(١٠٩)ولاشك أنّ الطبري(ت٣١٠ هـ)وابن خالويه(ت٣٧٠هـ)يشيران في هذا الوزن الصرفي (يفتعلون)إلى قراءة(ينتجون)إلى الأصل وهو في الحقيقة اللفظية على وزن (يفتعون)؛لأنّ لام الفعل

محذوفة منعا من الالتقاء،وهذه الواو هي واو الجماعة التي في الأفعال الخمسة،أمّا حرف العلة الذي من أصل الفعل فمحذوف.

وهذا البناء الصرفيّ يلزم منه حركة المتناجين واضطرابهما نفسيا في احتواء الصوت لئلا يُسمَع . وذلك مظهر عال من مظاهر الحركة والاضطراب المعنوي النفسي التي في(فعلان)من قوله(العدوان)،وقد يُتصوّر أنّ الحرص على الخفاء يتجه إلى مزيد من السكون.وهو سديد من حيثيات الحركة المادية؛لكنّه ليس كذلك من حيثيات الأثر النفسي للحرص على الخفاء فمن مؤثراته الاضطراب النفسي والقلق الذي يعتري من يحاول إخفاء شيء حتى يثير الريبة وقد قيل:يكاد المريب يقول خذوني.زيادة في أنّ التناجي كناية عن الاتفاق على فعل في معصية الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)وهي ترك طاعته فيما أمرَ الله؛وهذا عين العدوان ويؤيده التفسير((يتناجون في ما بينهم ويتغامزون بأعينهم إذا رأوا المؤمنين يريدون أنْ يغيظوهم))(١١٠)وذهب الطبرسي إلى أنّ قوله(إثما وعدوانا)من مخالفة الرسول وهي قوله:(ومعصية الرسول)؛((وذلك أنّه نهاهم على النجوى فعصوه.ويجوز أنْ يكون الإثم والعدوان ذلك السر الذي يجري بينهم؛لأنّه شيء يسوء المسلمين ويوصي بعضهم بعضا بترك أمر الرسول والمعصية له))(١١١)بل لا يجوز غير هذا المعنى الأخير من كلام الطبرسي.

وقال(معصية)وهي بمعنى(عصيان) ولا أقول بتأويل أو تقدير.ولكن لما كانت المعصية أمراً سريا يتناجون به،ولما يظهرْسلوكاً خارجياً حتى يسمى عصيانا .استعمل الخطاب القرآني(معصية) وهي مصدر عصى(معصية وعصيانا)ولذلك،مع جعل الإشارة إلى معنى العصيان في بناء(عدوان)المعطوف على الإثم إذ نشر فعلان معناه الصرفي على ضلال الآية جميعا فَسُمّى التناجي عدوانا لما فيه من تحرك وهياج للنفس من أجل المعصية وارتكاب الإثم بالتعدي. ومثله قوله تعالى:{فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ}(القصص ٢٨)فعند مراجعة قصة موسى(عليه السلام)في سياق الآية أنّه طلب منه الإجازة قال تعالى:{أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ}(القصص٢٧ـــــ ٢٨)

ومن هنا يتضح المعنى التفسيري للعدوان وأنه لا يكون لكم سلطان عليّ من جهة الإلزام بقصد الإجارة والالتزام بمعنى الإكراه على إتمام عشر حجج ولا شك في أنّ الإكراه على ذلك فيه من حركة تثاقل على النفس وتقلبها بين الطاعة والصبر والرفض والنشوز.وفي هذا ما فيه من الهياج والاضطراب .

ويتضح سبب استعمال الخطاب القرآني بنية(عدوان)؛لأنّ التمام خارج عقد الإجارة وإنّما هو في سبيل الإحسان والإكرام لا القهر والإكراه،ولذلك جاء التفسير على أنّ(لا عُدوان علي)،أيْ:لا ظلم بالتكليف أكثر منها وأطالب بالزيادة عليها[١١٢]

وفي هذا التفسير نظرٌ؛لأنّه جعل العدوان طلبَ الزيادة على عشر حجج وهو يخالف سياق الآية من قوله:{أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ}والله اعلم .وبهذا فإنّ للخطاب القرآني حكمةً في اختيار الألفاظ ودقتها في التعبير عن المعاني المقصودة.

أمّا ما أشكل على الطبري(ت٣١٠هـ)فقال((فإنْ قال قائل:وهل يجوز الاعتداء على الظالم؟فيقال (فلاعدوان إلا على الظالمين)قيل:إنّ المعنى في ذلك...المجازاة لما كان من المشركين من الاعتداء، يقول:افعلوا بهم مثل الذي فعلوا بكم...كما قال عمرو بن شأس الأسدي(من الطويل):

جزينا ذوي العدوان بالأمس قرضهم قصاصاً سَوَاءٌ حذوكَ النعلَ بالنعلِ)) [١١٣]

وكقول الفِنّد الزِّمَّاني في حرب البسوس (من الوافر)

صَفحْنا عن بني ذُهل وقلنا: القوم أخوانُ

ولم يبق سوى العُدْوا نِ دنَّاهم كما دانوا [١١٤]

وليت ابن جرير الطبريّ أجاب بقوله تعالى:{فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ}(البقرة ١٩٤)وهو كقوله تعالى: {فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}(التوبة ٧٩)قال الأخفش:إنّما أمرهم بالردّ بالمثل[١١٥]ويرى الباحث أن ثم حكمة وراء هذا الاستعمال.ولم يقل ردوا أو اقتصّوا ولعل تلك الحكمة هي الإشارة إلى الردّ بالقوة التي تشعرهم بهيبتكم لأن في العدوان شراسة والله أعلم .فعندما لايراد هذا القدر من معنى فعلان يستعمل الخطاب القرآني(عدوا،وعداوة)قال تعالى:{وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ}(الأنعام ١٠٨)فإنَّ(فَعْلا)لايدلّ على غير الحدث المجرد عن الحركة فإنّ السبَّ كلامٌ يعبر عن الاعتداء الباطني.

وقد جاء المصدر منصوبا في موضع الحال للكشف عن الباطن فمجرد السبّ لا يخرجه إلى الوجود إلا بصورة المعنوي المفرغ من الحركة.وقد ينتج عن السباب حرب واقتتال فيسمى حينئذٍ عدوانا.ومجرد السُباب لايصح فيه ذلك ولعل الزمخشري أراد ذلك بقوله((عدوا:ظلما وعدوانا))[١١٦]، أو حملا له على فعلان،وهو تفسير بلا مسوغ فإن لـ (عدوا)معنى قائما بنفسه من الدلالة على الحدث ولا حاجة إلى حمله على غيره ليؤدي معناه.

أما قوله تعالى:{وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ

الْمُسْلِمِينَ}(يونس٩٠)فمرجع المعنى في ذلك سياق الخطاب القرآني في نص الآية وذلك بحسب الترتيب الآتي :ــ

١ــ دلالة(عدوا)مع قرينة(فأتبعهم)على الحركة مما في بنية فعلان(عدوان)؛لكنّ هذه الحركة آيلة إلى سراب بقرينة ما عرضه القرآن من قصة موسى وفرعون.

٢ــ وقوله(وجاوزنا)هي مرجع السراب في حركة فرعون بابتاعه موسى عليه السلام وقومه؛ وحركته لا ينشأ عنها شيء من تحقيق عدوانه وبغيه.ومن هنا عبر القرآن بـ(بغيا،وعدوا)وهما مصدران منصوبان على الحال،أيْ:في حال البغي والعدوان(الآن)المذكور في الآية أحدى وتسعين من السورة نفسها،إذ((فصل بين الزمن الماضي والمستقبل مع أنّه أشار إلى الحاضر))(١١٧)ويفاد منه الحال الدائم .

٣ــ إنّ حقيقة ظهور السراب في حركة فرعون وجنوده،من جهة عدم تحقق ما يرمي إليه،من اتباع موسى عليه السلام كتحقيق عدم النجاة من قوله تعالى:{فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ}(يونس٩٢)فإنّ المتبادر من النجاة هو الخلاص من الغرق فيما هو خلاص الحياة من الموت . لكن نجاة فرعون كانت منقوصة كإيمانه من قوله تعالى:{قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ}(يونس٩٠ – ٩١)فإيمانه معطلٌ ونجاته معطلةٌ فمتابعته لموسى كانت قبلهما معطلة وهي كمن اتبع السراب ظنا منه بالماء وطمعا فاتباع فرعون موسى سراب؛ لأنّه اتباع مبني على أنّه يحسب نفسه يبلغ مبتغاه وما هو ببالغه.

ولذا لايرى الباحث في اتباعه(عدوا وبغيا)على حد معنى فعلان من مثال معنى (الغليان)من حاله فكان اتباعا بلا جدوى،فالسياق القرآني يتحكم باستعمال الألفاظ وهي أقطابٌ تدل على المعنى الدقيق وتسلب عنه الزيادة غير المرادة كما تمنع وقوع نقصان المعنى المطلوب.

ومن هنا يظهر أنّ استعمال(عدوا)دقيق محكم لايجوز تقدير(العدوان)في موضعه؛لأنّ المعنى متماسك والعبارة تامة فقوله تعالى:{فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا}(الأنعام ١٠٨)جُعِل(عدوا)مفعول من أجله(١١٨) فالسب من حيثيات معناه المعجمي منطو على تحريك وغضب وهياج جاء بصيغة الفعل ودلالة الفعل تلائمه وجاء(عدوا)على النصب بالمفعولية من تحقق العدوان؛إذ السبّ أحد أفراده،فالشرك والعصيان ونحوهما من أفراد العدوان فكان السباب لتحقيق العدوان فحسب.

والذي عليه البحث أنْ يكون المصدر منصوبا على الحال،كما سبق بيانه،أو المفعول المطلق؛لأنّ السب بمعنى العدوان فكأنّ المعنى يسب الله سبّاً أو يعدو على الله عدوا فهو مصدر مؤكد للحال منصوب على أنّه مفعول مطلق لمعنى فعله لأنّه السب من العدوان،كقولنا:سرت ركضا.

وكذلك استعماله العداوة عند عدم إرادة معنى الغليان وهو النوع الثالث من مصادر الفعل عدا يعدو وهو(عداوة)زنة(فعالة)التي يستعملها العرب للدلالة على ما حسن وقبح من الأفعال،كالسآمة والوقاحة واللطافة والنظارة والقسامة.ويأتي فعلها على الباب الخامس(ضم ضم)قَبُح يَقْبُح،قباحة، ويأتي على الباب الأول(فتح ضم)نحو: ((نَضَرَ وجهُه يَنْضُرُ مثل خرَج يخرُج لأنّ هذا فعل لايتعداك إلى غيرك وقالوا: النضارة كما قالوا الوسامة))[١١٩]وفعل الوسامة من الباب الثاني ولكن عندما اتحد المعنى بُنِيَ على هذا الوزن .

ويظهر من مراجعة المعنى أنّه باب يوضع له الوزن الدال عليه في فهم العرب لكلامها ويقاس عليه من دون النظر إلى باب الفعل الذي منها،وصفته من التعدي واللزوم .

ويبدو أنّ(فعالة)بفتح الفاء يغلب عليه أفعال الباب الخامس؛ولكنّ اتحاد المعنى يسمح بناء فعالة(بفتح الفاء)مما يكون فعله من غير هذا الباب .فجاء فعالة لما فعله من الباب الأول عدا يعدو عداوة.

ويُستعمل هذا البناء الصرفي(فعالة)لمعنى أخصّ من الحسن والقبح وهو ما يكون فيه ضرر على النفس:((قالوا الظماءة كما قالوا السقامة لانّ المعنيين قريب كلاهما ضرر على النفس وأذى لها))[١٢٠]فالمعنى إذا يطلب في الخطاب القرآني من المبنى الصرفي ما يدلُّ عليه بدقة،ويُرادُ له،من حكمة الخالق تبارك وتعالى أنْ يصل إلى المخلوق في ضوء البناء الفني المحكم.

ولاشكّ أنّ انطواء النفس على العداوة يَضُرُّ بها،ويعد أذى لها،كما هو أذى للآخرين فبُني مصدرها على مثال ما يَضُرُ بالنفس،وأرى أنّ فَعَاله يكون للدلالة على سجايا مخبوءة في النفس من غير النظر إلى باب فعلها وتعديه ولزومه فهي تعبير عن أمر معنوي كالفهامة،والنقاهة،والنصاحة،والفقاهة،والوقاحة،والجهالة،والبلاغة، واللآمة،والشهامة،والشجاعة،والسماحة،والغلاظة،والدماثة،والشكاسة،والوسامة، والبشاشة،ونحو ذلك.

ويعبّر الخطاب القرآني عن العداء عندما يكون سجية نفسية بالبنية الصرفية (فَعَالة)بفتح الفاء،وذلك عند التعبير عن انطواء النفس على العداوة واعتكافها عليها حتى لا يصدر صاحبها إلاّ عنها،ولم يستعمل (عدواً)أو(عدوان).وذلك قوله تعالى:{ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ}(المائدة١٤)وردت فعالة بفتح الفاء في الخطاب القرآنيّ للدلالة على أنّ سجيّة(النصارى،واليهود في آية أخرى)هي الانطواء على العداوة وقد قُرنتْ معها البغضاء بحرف العطف الواو للجمع بينهما على حد واحد،ولا شكّ أنّهما من القبائح التي يصاغ لها فعالة.

ولم يُرِدْ الخطاب القرآني الحدثَ وآثاره من الحركة والتهيج وإنما أُريدَ معناه من الاستقرار سجية للنفس بقرينة(أغرينا)في الآية محل الشاهد و(القينا،يوقع)من قوله تعالى:{وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ}(المائدة٦٤)وقوله:{إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ}(المائـدة٩١)،وأيضا قرينة (بدا)من قوله:{وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ}(الممتحنة٤)وذلك بالتفصيل الآتي:

قوله(أغرينا)معنى الاغراء هو الإلصاق،لأنّه من الغراء،تقول:هند غرت الجلد من باب عدا- يعني الأول-أيْ:ألصقته بالغراء.وأغريت الكلب بالصيد،وأغريت بينهم، والاسم الغراة وأُغرِيَ اغرم وأولع(١٢١)بمعنى صارت العداوة والبغضاء موضع ولعهم لاشتغالهم بها زمنا طويلا حتى صارت سجية لهم،والله لايجعلهم كذلك وإنْ كان قادرا.ولكنْ..لما لم يهتدوا تركهم في طغيانهم يعمهون فيزيدون شرا وعدوانا فيما بينهم.وبه فُسِّرَ فأغرينا:ألصقنا وألزمنا،وقيل الإغراء إنّما هو اتباع الأهواء المختلفة(١٢٢)

وأرى(أغرينا)في الآية كقوله تعالى:{وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا}(الإسراء ١٦)وقوله:{وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ}(غافر٣٣)؛لأنّ أخذ ذلك على ظاهر اللفظ يعني الجبر وهو ممتنع عليه،وإنْ كان في قدرته،كقوله تعالى:{وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا}(السجدة ١٣)،إنّما قوله:أغرينا بمثابة قوله تعالى:{فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى}(طه ١٢٣)فالمعنى أنّه تعالى نصب إمارة لطريق الهدى فمن تبعه اهتدى ومن تركه ثارت فيه هواجس الشيطان، والضلال.

فمعنى(أغرينا)أنّه تعالى أخذ ميثاق النصارى وكتب من حفظه فهذا جزاؤه،ومن نسيه أو بعضه فهذا جزاؤه من وقوع العداوة بينهم والبغضاء من سبب اتباع الأهواء في إثارة الجدال في المسيح أو في الدين كله كما سبق في التفسير والله أعلم.

ويجوز أغرينا بمعنى(جزينا)أي من ترك الميثاق كان جزاؤه أن ننساه من رحمتنا وهدايتنا فوقع في الأهواء والتصق به العداء والبغض.والله أعلم.

ومن هنا يتضح استعمال(فَعالة)للأمر المعنوي النفسي وهو إضمار العداء الأشد(١٢٣)و(فَعل) للدلالة على الحدث، و(فَعَلان)أو(فُعلان)للدلالة على مثال معنى الهيجان والغليان وذلك واضح بتحكيم سياق الخطاب القرآني بجعل قرائنه اللفظية والفنية إحدى مرجعيات التفسير في قراءة المعنى القرآني في ضوء القرآن نفسه فإنّ((المعاني الواضحة إنما تكون كالجوهر لا يعرفها إلا ناظمها،والعارف بها،إنما يتأول بحسن ظن،وناظم المعاني كناظم الجوهر الذي يؤلف بين النفيس منها،والثمين الرائق،ولا يشين عقوده بأنْ يتفاوت بين جواهرها في نظمها وتنسيقها وكذلك يكون تأسيس الكلام لحسن المعاني))(١٢٤)وليت(ابن طباطبا)قال إنما يتأول بحسن ظنٍّ وفهمٍ،وطول تأمل في التماس قرائن الكلام.فإنّ ما يستقر في نفسي أنّ لكل كلامٍ حسناً وقبحا،وإنّما مكمن حسنه في القرائن الدالة على معناه.وإلاّ عاد

الكلام تعميات والقرآن الكريم في معرض بيان الحقائق الناصعة عن الله وخصائص قدرته ورحمته،وعقابه،وجبروته وكبريائه،وتكاليف العباد تجاهه.فكيف يكون الكلام بلا قرائن فيلتمس معناه من غير فهم قرائنه.

وقد تنبه ابن طباطبا على هذا الأمر فيما بعد فقال((إذا لقيك معنى من أشعار العرب لا تتلقاه بالقبول فابحث عنه ونقّر عن معناه،فإنّك لا تعدم أن تجد تحته خبيئة إذا أثرتها عرفت فضل القوم بها. وعلمت أنّهم أدقُّ طبعاً من أنْ يلفظوا بكلام لا معنى تحته))[١٢٥] وإذا كان هذا إشارة إلى إبداع المخلوق في كلامه فما يكون إبداع الخالق في كلامه تبارك وتعالى.

وتجدر الإشارة إلى أن الخطاب القرآني استعمل(عَدواً)مرة واحدة للدلالة على الحدث،و(عَداوةً) لما هو من الآثار القبيحة للعمل السيئ وردت ست مرات، وورد(عُدوان)الممتلئ بالحركة والهيجان سبع مرات.مما يدل على أن عداوة وعدوان أبلغ في الدلالة على المقاصد القرآنية،وأبلغ في التعبير عنها؛وذلك يعرف بإتقان علم التصريف وتعرّف دقائقه ومعاني الأبنية فيه فإنه علم((يحتاج إليه جميع أهل العربية أتم الحاجة،وبهم إليه أشد الفاقة؛لأنّه ميزان العربية))[١٢٦]فلا يكتفى فيه بمعرفة الأبنية وأنواعها من دون معرفة معانيها واطرادها،وقياسها.

ب ـ ومن استعمال ثلاثة مصادر لفعل واحد في الخطاب القرآني،كما سبق استعماله (الخُسر والخسار والخُسران)ولكلّ منها مناسبته الداعية لاستعماله في موضعه حتى لايصلح غيره بدلا منه وذلك في قوله تعالى:{وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا}(النساء ١١٩)وقوله: {قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ}(الزمر١٥).

إنّ ظلال الآية،هنا،تتيح لمعنى الهيجان والاضطراب سعة في التصور،فإنّ الذي خسر عمله وماله وأهله يكون في حال(الخسران)من الاضطراب وهيجان الندم والأسف على ما فرّط في حياته كما هو صريح قوله تعالى:{أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ}(الزمر ٥٥)وقوله:{ قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا} (الأنعام٣١) وقوله:{وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ} (سبا٣١)وقوله:{رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ}(السجدة ١٢)ففي هذه الآيات بيان كاف في الدلالة على اضطرابهم وندمهم وتوسلهم وتمنيهم وفي هذه المعاني ما فيها من هيجان وفريه وجدال بعضهم مع بعض .فجاء التعبير القرآني بالمصدر(فعلان)لبيان هذا المعنى الكامن في البنية الصرفية ودلالتها التي تعطي ضوءً كاشفاً لتفسير الآية.

ولذلك عندما لايراد هذا المعنى،وإنّما يراد إظهار المبالغة في خبر خسارتهم فحسب من دون الإخبار عن لواعجهم وحالهم في ذلك جاء التعبير بالمصدر الآخر خَسَار؛ذلك بأنّ((الخاء والسين والراء أصلٌ واحد يدل على النقص))[١٢٧] وخَسِرَ كفَرِح وضربَ خَسْراً و

خَسَراً وخُسراً وخُسْراً، وخُسْراناً وخَسَارا[١٢٨] والمستعمل في القرآن من مصادره الخُسرُ، والخسار،والخُسران،فإذا جاء الخُسران ثلاث مرات جاء الخَسَار كذلك في نحو قوله تعالى:{وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا}[نوح٢١] وقوله تعالى:{وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا}[فاطر٣٩] وقال تعالى:{وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا}[الإسراء٨٢] فإنّ المراد في هذه الآيات الخبر المجرد عن خسارتهم في علم الله تعالى،الخسارة التي يجهلونها،والخبر جارٍ على المبالغة التي يلائمها صيغة فعال،وجاء البناء الفني للعبارة دالا على المبالغة فتناسبا مع موضوع الآية.

إنّ أسلوب النفي المعترض في سياقه الاستثناء بـ(إلاّ)يفيد قصراً وحصراً وجاء هذا الأسلوب في الآيات الثلاث محل البحث.

ويرى الصرفيون أنّ(فَعالاً)يفيد المبالغة في الدلالة على ما كان حسناً من الرفعة وما كان قبيحاً من الضّعَة قال سيبويه(ت١٨٠هـ)((أمّا ما كان حُسناً أو قُبْحاً فإنّه مما يبنى فعلُه على فَعُلَ – يَفْعُلُ ويكون المصدر فَعَالاً وفَعالةً وفُعلاً وذلك قولك قَبُحَ يَقبُحُ قَباحةً...وَوَسُمَ يَوْسُمُ وَسامةً وقال بعضهم وَساما فلم يؤنِّث كما قال السَقام والسَقامة ومثل ذلك جَمُلَ جَمالاً))[١٢٩] ثم بين في موضع آخر ما يكون مثل جَمَال.قال((وقالوا سَعِدَ تَسْعَدُ سَعادَةً،وشَقِيَ يَشقى شَقاوَةً،وسعيدٌ وشقيّ فاحدهما مرفوع والآخر موضوع وقالوا:الشَقاء كما قالوا الجَمال واللّذاذ حذفوا الهاء استخفافاً...وقالوا الرّشاد كما قالوا الشقاء))[١٣٠] ويظهر من النصين المتقدمين ما يأتي:

١ – إنّ فَعالا يقال في الدلالة على معنى الحسن والقبح مما كان رِفعَةً وضِعَةً قياساً على فَعالة،وقد سبق بحثها،في الدلالة على الحسن والقبح.

ونظير ذلك مجيء فَعال وفَعالة فيما كان حالا دائما قياساً على فِعالة في الدلالة على ما كان حرفةً.فيقال:شقاء كما يقال شقاوة،وعَداء وعَداوة،وخَسار وخَسارة كما يقال خِياط وخِياطة ومنه قوله تعالى:{حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ}[الأعراف٤٠].

٢ – ذكر سيبويه أن الوزن(فَعال وفَعالة)يأتيان مصدرين لـ(فَعُلَ يفعُلُ)على الباب الخامس نحو: قَبُحَ يقبُحُ قباحة،ولكنّه لم يطرد فقد جاء هذا الوزن مصدرا لما فعله من الباب الأول والثاني والثالث والرابع كلٌ بحسب لغات العرب التي ورد بها مع أنّه من المعاني التي تتفرع على الحسن والقبح كالسعادة والشقاوة والخسارة والعداوة ونحوها.فذكر الشقاء والشقاوة وفعلها شَقِيَ يَشقى من الباب الرابع(فَعِلَ يفعَلُ)ومثله جاء سَعِدَ يَسْعَدُ سعادةً وذكر الفيروزآبادي أنه يأتي أيضا من باب نَفَعَ ينْفَعُ الباب الثالث فيقال سَعَدَ يَسْعَدُ.[١٣١]

وجاء الجذر(خسر)على الباب الرابع أيضا وفيه لغة أخرى ذكرها الفيروزآبادي[١٣٢] على الباب الثاني(فَعَلَ يَفْعِلُ)فيقال فيه على اللغتين:خَسِرَ يَخسَرُ خَساراً وخسارةً وهو مما يسمى باب فَرِحَ،وخَسَرَ يَخْسِرُ من الباب الثاني مما يسمى باب ضَرَبَ فهو على اللغتين لايطرد أنْ

يكون على الباب الخامس مما مصدره على زِنَةِ فعال وفعالة مع أنّه من معاني القبح.ومن الباب الأول(فَعَلَ يفعُلُ)جاء عدا يعدو عَداوةً وعداءاً .

٣ – يظهر مما تقدم أن هذا الوزن يُؤتى به للدلالة على معنى الحسن والقبح، والرفعة والضعة من غير شرط بابٍ يكون حبساً له.

وبالرجوع إلى سياق الخطاب القرآني لقراءة المعنى التفسيري للآيات في هدي المعنى الصرفي في(فعال)من قوله(خسارا)يتضح أنه خبر عن المبالغة في خسارتهم مما هي قبح حالهم ووضاعة أمرهم . من غير أن يكون لهم في ذلك شأنٌ وهذا من القران الكريم ما يعد بيانا في ترغيب الناس إلى الطاعة وفعل الخير مما يكون رباحا لهم؛وفي ترهيبهم لتجنب المعاصي وإتباع الأهواء .

وإذا كان الخطاب القرآني قد استعمل(فَعال)(خَسار)للدلالة على ذلك .فإنه استعمل المصدر(فُعْل) للدلالة على مآل أمر جنس من الناس إلى هذا الحدث وذلك قوله تعالى:{إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ}(العصر ٢)والمعنى الصرفي من إرادة الحدث الذي في(الخسر)يتيح تفسير الآية بأنها جارية مجرى البيان الإرشادي بدليل الاستثناء من قوله تعالى:{إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ}(العصر ٣)والمعنى والله اعلم،إنّ أمر الإنسان لصيق الخُسر للقسم وللتوكيد في صدر السورة والمعنى ياأيها الإنسان افعل ذلك الإيمان والعمل الصالح والتواصي بالمعروف والصبر وإلا تخسر خُسرا– ونظير ذلك– قوله تعالى:{وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا*فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا*أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آَمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا}(الطلاق ٨ – ١٠)

هـ – ويستمر الاستقراء في رصد المصدر– فعلان – وأنماط وروده في القرآن الكريم فقد جاء فعلان ومعه مصدر يشاركه في أصله الصرفي ومادته اللغوية.نحو غفران ومغفرة فإنّ((الغين والفاء والراء عُظم بابه الستر.والغفران والغفر بمعنى واحد.يقال غفر ذنبه غفرا ومغفرة وغفرانا))(١٣٣) فجاء الغفران في القرآن مرة واحدة في قوله تعالى:{وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ}(البقرة ٢٨٥)ويشاطره في الاستعمال القرآن المغفرة فقد وردت ثمانيا وعشرين مرة في الخطاب القرآني(١٣٤)وجاء العصيان كذلك يشاطره المصدر الآخر معصية في الخطاب القرآني فجاء العصيان مرة والمعصية مرتين كقوله تعالى:{وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ}(الحجرات٧) والعصيان دالٌ على الفرقة(١٣٥)ولاشك فيما يكون بالفرقة من الهيجان والتشوق والاضطراب.

وجاء القربان كسابقيه يشاطره غيره من المصادر التي تشاركه في أصله الصرفي ومادته المعجمية قال تعالى:{فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آَلِهَةً بَلْ ضَلُّوا

عَنْهُمْ}(الاحقاف-٢٨) وتجدر الإشارة إلى أن قربانا هنا يراد به المصدر لا ما يُتخذ من القرابين بما هو اسم لما يتقرب به .

وما ذهب إليه الكسائي(ت١٨٩هـ)في تفسير هذه الآية ((القربان كل ما يتقرب به إلى الله تعالى من طاعة وشيكة. والجمع قرابين كالرهبان والرهابين))(١٣٦)ليس بسديد ويتبعه في ذلك غير واحد من المفسرين(١٣٧)فيمكن في الآية غير هذا التفسير في ضوء سياقها وبيان اعرابها ويرى الزمخشري(ت ٥٣٨هـ)أنّ قربانا حال،ويفسد المعنى عنده أنْ يُعرَبَ (قربان)مفعولا به لقوله(اتخذوا)وآلهة بدلا، وأعربه العكبري(ت٦١٦هـ)مفعولا به(١٣٨)وهو أجود مما ذهب إليه الزمخشري فإنّه لايتفق مع المعنى،وإنّ الحال هو وصف هيأة الفاعل وليس في لفظ قربان بيان لهيأة(الفاعل من يتخذون) من لفظ الآية.والبدل حسنٌ لخلوه من التأويل واتفاق معناه.

وتحليل إعراب الآية عندي على أنّ(قربانا)منصوب على المصدرية من معنى الفعل وهو مصدر قربت قربا وقربانا،والمعنى،والله اعلم،يتخذون ما يتقربون إليه،أو به،قربانا آلهة.أو يتخذون آلهة قربانا،أيْ:يتقربون بها(قربانا)فإنّما ذكر الأمر الثانوي وقدمه تنزيلا له منزلة اتخاذ الآلهة في عظم الشرك والعدوان على الله.فإنّهم يتخذون الآلهة ليقتربوا قربانا وهو من تقديم العلة على المعلول . فليس القرابين موضوع الآية بل موضوعها اتخاذ الآلهة العاجزة عن النصر من دون الله؛إذ اتخذوها قربانا إلى الله في أصل ادعاء المشركين أنّهم يتخذون الآلهة زلفى من قوله تعالى:{أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ}(الزمر-٣)وعلى هذا يمكن أنْ يكون قربان مفعولا به وآلهة تمييزا؛لأنّها تفسير القربان ومعناها معناه من الفعل يتخذون فيقال(يتخذون قربانا آلهة،ويتخذون آلهة قربانا)فلفظهما عمدة في بناء الكلام فبعد أنْ ذكر القربان ميّز نوعه من جنس ما يتقرب به لبيان فساد معتقدهم أنّه مما يفسد التقرب به عادة وهو اتخاذ الآلهة والله أعلم.

والقرينة على ذلك قوله(من دون الله)فلو نطقت الآية من دون لفظ(قربان)ظل المعنى على استقامته،ولو نطقتها أخرى من غير لفظ آلهة احتجت إلى تأويل التقرب وتفسيره بأنّه إلى الآلهة مما يدل عندي على أنّ موضوع الآية بيان اتخاذ الآلهة قربانا إلى الله.ويمكن في تفسير اعرابه معنى البدلية وهو ضعيف على الرغم من ظهوره؛لأنّ إسقاط أحد طرفي البدل يخلّ بأداء المعنى المقصود من موضوع الآية؛فإنّ النظر في سياق الآية وموضوعها لايسمح بمعنى البدلية،والله اعلم.

ولشدة وضوح معنى الحركة والتقلب والاضطراب في القربان تأوّل الكسائيّ قوله تعالى:{تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ}(البقرة ١٨٧)قال:((فلا تقربوها قربانا))(١٣٩)ولمّا كان اقتراب حدود الله بمعنى التعدي المفهوم من أصل

النهي،واقترابها وتعدّيها فيه ما فيه من الحركة والخرق تأوّله الكسائيّ بذلك،واراه مصيبا من جهة المعنى لا من جهة التقدير؛فإنّ العبارة تامة والمعنى متماسك بـــ(لاتقربوها).

أمّا من جهة المعنى فإنّ المنهي عنه تحقيق حدث الاقتراب،والنهي عن ترك النفس تنقاد إلى ما يهيجها تجاه المعصية ويبعثها عليها يشتمل على معنى الدعوة إلى الــردع عــن ارتكاب المعاصي ، وزم النفس بزمام طاعة الله تعالى وتقديس حدوده.

وكذلك جاء المصدران(كفرانٌ،وكفرٌ)في الاستعمال القرآني فإنّ((الكاف والفــاء والــراء أصلٌ واحدٌ يدل على الستر والتغطية وسُمّيَ الشرك الذي ضد الإيمان كفرا؛لأنّه تغطية الحق والنعمة وجحودها)) (١٤٠)ومعنى الستر في الكفر ظاهرٌ قال لبيد بن ربيعة.(الكامل):(١٤١)

يعلو طريقة متنها متواترٌ في ليلة كَفَرَ النجومَ ظلامُها .

وظاهر ما في الجحود والعقوق من الحركة والاضطراب قال تعالى:{فَمَنْ يَعْمَــلْ مِــنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ}(الأنبياء ٩٤)بمعنى لا جحود بل ثَمَّ جزاء يكونُ موافقا لعمله وهذا خرج مخرج الترغيب للطاعة لما في الكفران من مخبثةٍ وأذىً على النفسِ فيكون نفيه أماناً وقرارا لها قال عنترة.(الكامل):

نُبِّئْتُ عمراً غير شاكر نعمتي والكفرُ مخبثةٌ لنفسِ المنعمِ (١٤٢)

لأنّ الكفران فيه نفور من الاستمرار على العمل الصالح،فالخبر بعدم الكفــر واثبــات الجزاء في غاية الترغيب.

وجاء الفرقان:والمصدر فرقا.لاختلاف الدلالة مع اتحاد الأصل اللغوي في موضوعين مختلفين فإنّ((الفاء والراء والقاف أصل صحيح يدل على تمييز وتزييل بين شيئين،ومنه سمي كتاب الله تعالى الفرقان،فُرق به بين الحق والباطل))(١٤٣)فيقال الفرق بينهما فرقــا وفرقانــا ولايحتاج تصور الحركة والهيجان في التمييز إلى كدّ الذهن وإرهاقه فعندما يريد القرآن هذا المعنى يعبر عنه بقوله تعــالى:{يَــا أَيُّهَــا الَّــذِينَ آمَنُــوا إِنْ تَتَّقُــوا اللَّــهَ يَجْعَــلْ لَكُــمْ فُرْقَانًا}(الأنفال٢٩)ومعنى(لكم)أنّه لايكون لغيركم ولو كان للجميع لقال بينكم ولاشك في ذلك من الهيجان والتقلب في سرور المؤمن وغيظ الكافر.ومنه قوله تعالى:{وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ}(الأنفال٤١) واستُعمل (فرقا) المصدر عند إرادة غير معنى(فعلان)في قوله تعالى:{فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا}(المرسلات٤) والمصدر هنا مؤكّد لفعله.

ويتضح ذلك بأدنى إشارة أنّه يوم الفرقان يوم متميــز لمــا فيــه مــن معنــى قولــه تعالى:{يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ}(النــور٣٧)وتزييلٌ بين الكفر والإيمان؛ولــذلك سماه يوم الفرقان للدلالة على ما فيه من حركة واضطراب وهيجان((نصرا لأنه يفرق بين الحق والباطل وبين الكفر بإذلال حزبه والإسلام بإعزاز أهله))(١٤٤)ويوم الفرقان هو يوم بدر كما هو مشهور.

وجاء على هذا النحو الطُوفان اسم للحدث وهو مصدر مثل النُقصان وهو الماء الذي يغشى كلَّ مكان وقيل المطر الغالب،والطوفان من كل شيء ما كان كثيرا محيطا وسمي طُوفانا للنظر إلى أنّه محيط؛وليس لأنّه كثيرٌ فهو من الجذر (طوف) والفعل طاف يطوف على الباب الأول وهو لازم ويقال منه على بناء المصدر فَعَلان طَوَفان.ومنه قوله تعالى:{فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ}(العنكبوت١٤) فقيل:الطوفان هو البلاء وقيل الموت(١٤٥)

وأُرى بحسب سياق الآية من سرد قصة نوح عليه السلام أنّه الماء؛لأنه قال في الآية بعدها:{فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ}(العنكبوت١٦) وهو أكثر ملاءمة مع معنى طاف الماء طُوفانا وطَوَفانا استدار وجاء من نواحيه وذلك ظاهر من سياق الآيات قبلها وبعدها وهذا هو شأن القرآن فمن عجيب أمره((أنّ الآية من آياته لاتكاد تصمت عن الدلالة،ولا تعقم عن الإنتاج،كلما ضُمّت آية إلى آية مناسبة أنتجت حقيقة من أبكار الحقائق))(١٤٦)

ومن هنا فالطوفان بمعنى الماء أنسب وهو مؤدٍ إلى الموت فلا حاجة لصرف الطوفان إلى الموتان الذي صرف الزمخشري المعنى إليه(١٤٧)؛لأنّ المعنى مع الماء الشديد أكثر بيانا وتصويراً فيكون المعنى التفسيري بيانَ غرقهم من معطيات المعنى الصرفي لفعلان،وهو المعنى الذي نطقت به حقيقة الآية في الخارج فإننا حين نتصور الطوفان تهيج نفوسنا وتجزع وهذا واقعٌ خارج الآية؛فإنّ المعنى يتوقف((في صحته وصدقه معتمدا على الواقع الخارج))(١٤٨)ويقال لشدة سواد الليل طوفان،قال الفرزدق. (الطويل) :

على مَن وراء الرَّدم لو دكّ عنهم لماجوا كما ماج الجراد وطوَّفوا(١٤٩)

ولعل الفرزدق اخذ هذا المعنى من قوله تعالى:{فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ}(الأعراف١٣٣) (١٥٠)وظاهرٌ في معنى فعلان حركةُ الماء وهياجه،وحركة الإنسان الذي جاء عليه الطوفان وتخبطه من التقلب والاضطراب .

ومنه(سبحان)المصدر وقرينه(سَبحاً)من أصل لغوي واحد يدل على الفراغ،ويدل على التصرف في المعاش وفعلهما من الباب الأول وليس هو مصدر سبَّح الرباعي فإن مصدره تسبيحاً،وسبحان وهو اسم يقوم مقام المصدر سبحا وتسبيحا.

وفي سبحان من الحركة والاضطراب ما يدل عليه من معناه اللغوي فضلا عن بنائه الصرفي . فيقال للنجوم السابحات سبحا وسبحانا،والخيل السابحات التي تمد يديها في البحر سبحا كما يُسبَح في الماء(١٥١)وسبح النجوم في الفلك إذا جرت في دورانها قال تعالى:{وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا}(النازعات ٣).

وأرى أنّ المصدر سبح سبحانا قياسا على ما به من المعنى،وإنّما جاء في الخطاب القرآني (سبحانا)على فُعلان؛لأنّه أريد به الاسم من تنزيه الله وتبعيده عن كل سوء ومعنى السبح:التفريغ ومنه قوله تعالى:{إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا} (المزمل ٧)ففسر بالفراغ للتقلب

في كسب العيش[١٥٢] وعلى ذلك يكون معنى سبحان افرغ ذات الله،في الاعتقاد من نسبة كل سوء إليها.والسباحة في الماء تفريغ السباح جسده من الموج وذلك بتحريكه وجريه.

وذهب الأزهري(ت٣٧٠هـ)إلى أنّ المعنى في سبحان الله((براءة الله تعالى من السوء فإنّه قال: أبريء الله من السوء،ومعنى تنزيه الله من السوء تبعيده منه؛كذلك تسبيحه تبعيده من قولك سَبَحْتُ في الأرض إذا أبعدتَ فيها،ومنه قوله تعالى:{كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ}(الأنبياء ٣٣))[١٥٣] ولا يبعد هذا عن معنى التفريغ بمعنى تفريغ الاعتقاد من نسبة السوء إلى الله؛لأنّ أصل الوجود تفريغ ذاته من كل سوء . ومن هنا يكون(سبحان الله)دالا على الحركة والاضطراب والهياج والتقلب جميعا؛لأنك تقول ذلك من جهة الاعتقاد في معرفة الله التي يحتاج معها إلى إعمال الفكر وتقلبه وتفكره وفي ذلك قدر من تحريك النفس نحو الإصلاح في الاعتقاد.

ثالثا: نيابة مصادر أخرى عن معنى فعلان:

المصدر لفظ واسع الدلالة يكثر تداوله في الكلام لاشتماله على خصائص الفعل من جهة الدلالة على الحدث.وفيه خصائص الاسم من جهة خلوه من الدلالة على الزمن والفاعل.ويرد في القرآن الكريم وصفا أمّا على سبيل الإسناد خبرا،أوعلى سبيل النعت أوالحال،كما في قوله تعالى:{نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا}(الإسراء٤٧)فقد جاء (نجوى)خبرا،وفي قوله:{فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا}(الكهف ٤٠ - ٤١)فجاء قوله(زلفا) دال على الحال،(وغورا)خبر يصبح،وكان(طَلَبًا)مفعولا به لـ(تستطيع).

ويجب ألاّ تحملنا دلالة المصدر الواسعة وكثرة استعماله في الكلام على التقدير والتأويل والتوجيه إذ لا يرى الباحث هنا ضرورة للتأويل إلا في ظروف ضيقة مر بيانها في مبحث سابق[١٥٤] كآيات القدرة والجسمانية مما لا يصدق عليه تعالى من الوجه واليد والعين.فإنّ التأويل والتقدير قد يخرج العبارة عن المعنى الذي قصد إليه .[١٥٥]

ولست أقصد بالنيابة هنا ما يشتهر بين الباحثين من القول بتناوب الحروف والصيغ فلست ممن يراه على هذا النحو،ولم أعتقد معناه البتة.لكنّي اقصد من هذا العنوان استعمال الصيغ المتعددة للدلالة على معنى صيغة ما بقرينة السياق لارادة المعنى الخاص بالسياق وهو من خصائص الاستعمال الذي يتسم بالعلو والرفعة والدقة،وقد استعملت هذه المفردة عنوانا لهذه المادة بمعناها اللغوي لقرب المأخذ فيها مما أعنيه،فإنْ نُظر في دلالته على الاصطلاح فلا مشاحة في الاصطلاح.

يتوسع القرآن في استعمال المصادر ونيابة الألفاظ عن بعضها للدلالة عليها،بنحو خاص،ولا أقول بتأويلها فيستعمل المصادر على غير بنية(فعلان)مع القرائن السياقية التي

يترشح عنها معنى المبالغة بالحد المقصود الكائن بالاشتراك بين الصيغة المستعملة والبنية المراد النيابة في الدلالة على بعض معناها.

فإذا كان المقصود دلالة البنية المنوب عنها نفسها فإنّ لها بنيةً خاصة تدل على المقصود؛لكنّ الخطاب القرآني لا يريد تمام معناها فيعدل عنها إلى بنية مفرغة من دلالة المنوب عنه،يلحقها بقرائن السياق لتدل على قدر المعنى المقصود بذلك.

ويلحق ذلك زيادة تفصيل،وقوة بيان،للتأثير في النفس بما يكون حكمة عالية في ضوء إجالة الفكر في ظلال الآية،كاستعمال المصدر(غليا)وليس(غليانا)مع إرادة بعض دلالة غليان.واستعمال الهجر وليس الهجران،والسيل وليس السيلان والخشية وليس الخَشَيَان،وغشاوة وليس غَشَيَان وذلك على التفصيل الآتي بحسب نصوص من القرآن الكريم وكلام العرب :

أ:- قال تعالى:{وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ}(الإسراء٣١)ويلاحظ على سياق الآية أوّل ما يلاحظ نمط الإضافة من قوله(خشية إملاق)،والإملاق:هو الفقر والافتقار وهذا المعنى دالٌّ في نفسه على اضطراب صاحبه بما يؤدي به إلى قتل ولده الذي وصفه القرآن بزينة الحياة الدنيا ولعل هذا يفسر لنا السر في تقدم المال على البنين.وهو كاف في الدلالة على الحركة والاضطراب والفعل بهيجان زيادة في أنّ القتل بسبب الفقر فيه تحريك كبير للنفس إذ يبعثها على القتل فعلا.

إنّ(خشية)في موضع الحال من فاعل القتل.والفعل منه خَشِيَ يَخْشى خَشْيا وَخَشْيَةً وخَشَيَانًا من الباب الرابع ومعناه الخوف(١٥٦)وللخوف بمعناه اللغوي أثرٌ من اضطراب النفس وتهيّجها في سبيل النجاة والوقاية مما يخشى .

وقد اجتمع ذلك كله في المصدر(خشية)في ضوء معناه اللغوي وبنيته الصرفية ونمط تركيبه الإضافي في بناء الجملة مما يؤدي معه أنْ يكون المعنى(ولا أقول التقدير أو التأويل)خشيانا فقد ناب المصدر خشيةً في الدلالة على معنى فعلان ولم تكن في السياق حاجة إلى ذكر فَعَلان؛لأنّ (خشية) قد أدّت معناه والسياق متماسك والمعنى تام.فالمعنى الصرفي يدلنا على تصوير الآية لحال الخائف من الفقر وتصوير حال طائفة من العرب كانوا يفعلون ذلك مما يصور لنا الحياة في تلك الظروف.

ب –قوله تعالى:{وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا}(المزمل١٠)يلاحظ البيان على سياقه رونق العبارة،كما في غيره من القرآن جميعا،فقد جاء الأمر بالصبر على قول الكافرين وتكذيبهم وهو أمرٌ بعلاجهم بالصبر،والصبر عليهم يقتضي المكث بين ظهرانيهم .

أما ختام الآية فجاء بأمر يظهر لغير المتأمل ينقض صدرها.فقوله(اهجر)يعنى فارقهم ولكن لم يلبث حتى قال(هجرا جميلا)وهو محل البحث،وقوله هجرا:مصدر للفعل هَجَرَ يَهجُرُ(من الباب الأول)هجراً وهِجراناً. (١٥٧)

والهجر الترك بمعنى عدم الوصل ما يتبادر منه لوعة المتهاجرين وشوقهم إنْ كان الهجران عن ودٍّ. ويتبادر منه عند الإطلاق اضطراب المشاعر وحرارة الأذى إنْ كان الهجران عن اختلاف وجور وظلم بين المتهاجرين.

ومن هنا يكون المُتَصوَّرُ استعمال(فعلان)منه على حدِّ تأويل الكسائي قوله تعالى السابق(لا تقربوا)بالقربان لتبادر الحركة والتقلب والهيجان من مادته اللغوية ومعناه السياقي.

ولكن..للاستعمال القرآني خصائصه الدقيقة في السيطرة على الألفاظ في أداء المعاني فقَيَّدَ المصدر(هجرا)عن انصراف الذهن تجاه تصور دلالة الاضطراب بأنّ المراد الهِجران،وذلك ممتنع للقيد بوصفه(جميلا)فقصَر دلالته على الحدث نفسه مزيدا عليه الوصف المذكور.وكونه مفعولا مطلقا مؤكدا للفعل يعني إرادة الحدث فحسب فيدل على فعلان في ضوء التوكيد لكنه وصفه جميلا فقعدت البنية عن معنى فعلان إذ لايصح الوصف جميلا مع دلالة فعلان.

وجاء هذا الوصف يلائم صدر الآية من الصبر بمعنى المكث.قال الزمخشري((الهجر الجميل : أنْ يجانبهم بصدره وهواه،ويخالفهم مع حسن المخالفة والمداراة والإغضاء وترك المكافأة))[١٥٨] يعني ترك الجزاء بالسيف على التكذيب ولم يحتج المعنى البنية الصرفية فعلان؛لأنّها لاتنسجم مع الوصف المذكور.ومن هنا كانت بنية المصدر ومعناه الصرفي المتحصل من جملة الوصف والبنية والسياق واللغة يكشف معنى الآية الكلي وتفسيرها .

ج: قال تعالى:{إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ*طَعَامُ الْأَثِيمِ*كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ*كَغَلْيِ الْحَمِيمِ}(الدخان٤٣-٤٥)فقد جاء المصدر(غلي)وصفاً تشبيهيا لما يغلي من طعام الأثيم في بطنه أنّه يشبه غلي الجحيم، والغلي والغليان مصدران للفعل غلي يغلي من الباب الثاني،ومعناه غليان الماء ونحوه وتقلبه في القدر وتحركه وجعل هذا المصدر(غليان)رأس باب معنى الحركة والهيجان يقاس عليه غيره وقد ورد ذلك في كلمات سيبويه مما سبق في صدر هذه الدراسة.

فالمصدر دال على الحركة والهيجان بمادته اللغوية ولكن عندما يراد هذا المعنى يستعمل له (فعلان)غليان،وعندما لايراد هذا المعنى ببنيته الصرفية وإنما يراد الغلي بمعناه اللغوي يستعمل المصدر الآخر وهو(غلي)كما في الآية .

وقد يصحب ذلك بعض القرائن الدالة على إرادة جزء من معنى الحركة والهيجان،وقصر دلالة اسم الحدث عليه،أو يكون استعمل(غليا)وأراد غليانا اكتفاءاً بالتشبيه وتلك القرائن اللفظية،وعند النظر والتدقيق أرى أنّ سياق الآية ناطق بمعنى الغليان؛ولكن لم يكن صريحا،وإنّما تكشفه القرائن والتشبيه لتحقيق حكمة الترهيب عند إجالة الفكر فيها نظرا وتدبرا.ولقراءة المعنى الصرفي للآية لابد من الوقوف على الأمور الآتية :

١- إن طعام الأثيم يشبه المهل،والمهل هو(بضم الميم وفتحها)عبارة عن((الزيت ويدل عليه قوله تعالى:{يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ}(المعارج ٨)...وقيل هو ذائب الفضة

والنحاس))[١٥٩]ومن هنا يكون المشبه به وهو سائل والمشبه هو طعام الأثيم فاستعير له السيولة من المشبه به بقرينة المجاز العقلي من جهة أنّ الطعام إذا دخل الأمعاء استحال إلى سائل مائع .

٢- شبّه غليان الطعام بغليان المهل فاستعار احد وجوه المائع وهو الغليان إلى المشبه به وهو طعام الإثم في البطون .

٣- شبه غليان الطعام في البطون بغليان الماء الحار(الحميم)قال الزمخشري ((الحميم:الماء الحار الذي انتهى غليانه))[١٦٠]فيكون استعار ثقل المهل وهو يغلي إلى ثقل الطعام في أمعائهم واستعار له سرعة الحركة والغليان وتجدر الإشارة إلى أنّ شرب هذا الصنف من الناس يوم القيامة هو الحميم قال تعالى:{ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ}[الواقعة٥١-٥٦]وهو من صور التشبيه بغلي الحميم.وهو الماء الحار.

٤- وجه الشبه المستعار للأثيم هو غليان طعامه كغليان الماء الحار في قدوره. ومن هنا جاء الخطاب بتصوير باهر لحال هذا الأثيم من غليان طعامه في أمعائه بحركة وتدافع وهيجان واضطراب وتقلب تفوّت عليه الفائدة المعتادة من وجود الطعام فهو بثقل الطعام وليس بنفعه.فصوره بصورةٍ فاسد الأمعاء من الاضطراب والتهيج.فإذن كان ذلك عذاب الجبار الذي سجّر ناره لغضبه.

ومن هنا قام التشبيه في رسم صورة معنى الحركة والهيجان من الغليان فلو قال(الغليان)لم ترسم هذه الصورة.فقام التشبيه مقام لفظ الغليان مع زيادة بيان حال المغلي في بطنه طعامه.ومعنى الآية المتحصل هو من معطيات تحليل المعنى الصرفي للمصدر(كغلي الحميم)ومثل ذلك ما كان من كلام العرب قول امرئ القيس،(الطويل):

على الذيلِ جيّاش كأنّ اهتزامَهُ إذا جاش فيهِ حَميُهُ غَليَ مرجَلِ[١٦١] .

فالمرجل هو القدر يغلي فيه الماء.فيصف فرسه الذابل الضامر في قوته وحركته ويشبهها بحركة وتدافع الماء المغلي في القدر.وكان طريقه لرسم صورة معنى الغليان هو التشبيه.الذي كان من أجمل التوسع الفني في بناء الخطاب القرآني خاصة، وكلام العرب عامة،مع ضربٍ من الفصاحةِ والبلاغة في التصوير الرائع الذي ينوب عن بيان الألفاظ وأبنيتها الصرفية.وهذا مفصل دقيق في إعجاز القرآن الذي جاء بألفاظ لغتهم،وبأساليبهم في التصوير البلاغي ولم يمكنهم معارضته ولو بسورةٍ من مثله.

د- يستمر الخطاب القرآني في التوسع في بناء الفاظه وتصوير معانيه بأروع بيانٍ وأوسع قدرة ليس لأحدٍ الإتيان بمثله.فيستعمل سيلا بدل سيلان وغشاوةً بدل غشيان.للأسباب التي سبق ذكرها وبالفنية نفسها.نحو قوله تعالى:{فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ

الْعَرِمِ}[سبأ١٦]فهو بيان ناطق بعذاب الذين اعرضوا عن ذكر الله،وقد يتصور من سياق الآية أن فَعلان(سيلان)يتلاءم مع العذاب لِما فيه من الحركة الشديدة في تدافع الماء المدمر.

والقرآن لم يستعمل(سيلاناً)،إنه استعمل المصدر الآخر للفعل سال يسيل(الباب الثاني)وهو(سَيل) وجيء به موصوفاً بالعرم المضاف إليه.ومعنى العرم: الشديد[١٦٢] ولما كان السدّ الذي جعلته بلقيس لمنع السيل كبيرا ضخما سمي بالعرم،وتسمى الصخرة المسناة لشدتها بالعرم،وقال أهل اللغة لا واحد منه،وقيل عرمة ،وهذا ماعليه التفسير[١٦٣]ولذلك سمي المطر الشديد بالعرم،فالعرم وصف لكل شيء ضخم كبير شديد،ومنه يقال للمرأة الشديدة الفظة الغليظة بالعرمة،ويوصف السيل الشديد بالعرم.

ومن هنا صار السيل موصوفا بالشدة وهكذا كلّ سيل يكون مدمرا وكأنّه قال (سيلان)؛لأنّ معناه ولا أقول تقديره(سيلان)،وعرضُ الآية من جهة التفسير:أنّ هذا السيل دمر زروعهم وديارهم وهو صريح القرآن قال تعالى:{لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آَيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ*فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ}[سبأ١٥]

وبلحاظ هذه القضية استعمل الخطاب القرآني(سيل العرم)ليصفه بالشدة المدمرة إلى حد هلاك الزرع وخراب البيوت من دون هلاك الأنفس.ويستدل من هذا المفصل على أنّ استعمال(سيلان) يكون بمعني هلاك الجميع بما فيه الأنفس،وليس هو المقصود .

القرآن محكم في اختيار اللفظ المناسب للمعنى المقصود.فدقة المعنى تتطلب دقة اختيار اللفظ،قال تعالى:{أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا}[الرعد١٧]فلمّا وصف المطر بقوله(سالت أودية)صار ممكنا تصوّر أنّ الأودية حين تسيل يتكون الطوفان أو السيلان المدمر فقبل أنْ يتم هذا التصوّر في ذهن السامع صده قوله (بقدرها)وعبر بعد ذلك بالسيل ولا يتصور من لفظ السيل القوة المدمرة؛لأنّ قوله(بقدرها)مانع ذلك.هي هكذا روعة الخطاب القرآني،وعذوبة استعماله اللغة بمستوياتها كافة.

هـ: يستعمل القرآن المصدر(فِعالة)للدلالة على معنى خاص مزيد على الحركة والاضطراب وعندما لايؤدي استعمال(فعلان)ذلك المعنى الخاص،ومن هنا يكون للقرآن خاصيته التي ينفرد بها في استعماله اللغة،للمعاني القرآنية الخاصة.

إنّ المصدر(فِعالة)يستعمل لما يكون حرفة أو صنعة،أيْ:هو اسم للوظيفة كالخياطة،والدباغة، والحياكة،والولاية[١٦٤] لكنّ العرب يتوسعون في لغتهم فيقولون((الوكالة والوصاية ونحوهنَّ فإنّما شبهنَ بالولاية لأن معناهنّ القيام بالشيء،وعليه الخلافة والإمارة والنكاية والعرافة))[١٦٥]وذلك مقول على الإخبار((بالصنعة التي تليها...وكذلك السعاية إنما اخبروا بولايته كأنه جعله الأمر الذي يقوم به)) [١٦٦].ومن هنا يمكن القول:إنّ العرب

يصوغون ألفاظهم على هذا الوزن لإرادة الإشارة إلى أنَّ الملفوظ به،المشار إليه،هو الأمر الذي يقوم به حملاً له على ما يكون حرفة لأنّها الأمر الذي يقوم به الإنسان،وذلك دال على توسعهم في صياغة الفاظهم.

وقد جرى القرآن على سنن العرب في استعمال لغتهم إذ نزل(بلسان عربي مبين)ومع ذلك أعجزهم عن الإتيان بمثله.فجاء(فِعالة)بمعنى الغشيان في القرآن مرّتين قال تعالى:{خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}(البقرة ٧)وقال:{أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} (الجاثية٢٣) فأجريت مجرى الحرفة من الدوام؛لأنّ الذي عليه غشاوة لايفهم أبدا فتشابها.

أو لأنّ فِعالة تعني الاستيلاء على أمر،والغشاوة قد استولت على سمعهم فتشابها في المعنى والصيغة .

يرى معربو القرآن أنّ غِشاوةً هي مبتدأ وعلى سمعهم هو الخبر المقدم(١٦٧)وهو أجود لما في الرفع من معنى الثبات والثقل فالغشاوة ثقيلة وهي مما ثبت على صنف من الناس ولاشك في المناسبة بين هذا المعنى من حالة الرفع وتفسيرها وبين معناها اللغوي وموقعها من الكلام.

وثمة قراءة أخرى بنصب(غشاوة)على تقدير فعل محذوف هو(جعل)أويكون نصبها بالفعل المذكور(ختم) (١٦٨)وفي نصب غشاوة نظرٌ من جهاتٍ عدة.

١- إن(ختم)لا يتعدى بنفسه((ولا يجوز أن ينصب(غشاوة)بختم؛لأنه لا يتعدى بنفسه))(١٦٩)وهو ليس من الختام بمعنى الانتهاء فإنّه يتعدى بنفسه،وهو من الباب الثاني(فَتحُ كَسرٍ)،وإن المراد بـ(ختم)في الآية جعل عليه علامة،بمعنى أنّه لا يعقل ولا يرى فيقال:ختمت على الشيء بمعنى جعلت عليه علامة،وختمت الشيء أنهيته ومنه قوله تعالى:{خِتَامُهُ مِسْكٌ}(المطففين ٢٦)وخَتمةُ طَبَعَهُ والختم على القلب حتى لا يفهم شيئاً ولا يخرج منه شيء كأنّه طُبع قال تعالى:{طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ} (النحل١٠٨)فلا تعقل ولا تعي شيئاً،فإنّ((معنى الختم والطبع في اللغة واحد وهو التغطية على الشيء،والاستيثاق من ألاّ يدخله شيء كما قال تعالى:{أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا}(محمد٢٤) وفيه:{كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}(المطففين ١٤)...))(١٧٠).

ومن هنا يكون الختم طبعُ بما غلب عليهم مما يكتسبون من الإثم حتى غطاها العمل السّيء كما هو صريح القرآن مما سبق من الآيات،وقوله تعالى:{أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ}(محمد١٦)وكأنّ الطبع هنا هو عملهم السيئ وجزاؤه(١٧١).

٢-إن تقدير(جعل)فيه إقحام على العبارة ما ليس منها ثم ما المانع أن يذكر في الخطاب القرآني لو كان مراداً كما ذُكر في الآية الأخرى من سورة الجاثية.؟

٣- إن تقدير النصب بختم يجعل الغشاوة على القلب والبصر والسمع.ومن أين العلم بأنّ ذلك كله مراد الله تبارك وتعالى.؟ومن هنا كانت قراءة الرفع أحكم وأوفر للمعنى بحسب قرائنه من الخطاب نفسه وقد سبق بيانه،ومن غير تقدير أو تأويل.

٤-إن المخصوص بالغشاوة هو البصر وليس غيره بحسب صريح القرآن في سورة الجاثية من قوله(وجعل على بصره غشاوة)لأن المبصر يسمع من وراء الحجاب وللغشاوة التي عليه لايرى حقيقة ما يسمع لغياب البصيرة عنه فاستعير البصر للدلالة على عدم البصر والبصيرة.

٥- امتداد الغشاوة إلى القلب والسمع لا يتصور فإن السمع خُصَّ بالوقر(الثقل) فالغطاء عليه لايمنعه السمع فإذا سمع عقل.والمعنى المراد ختم على أبصارهم بغطاء (غشاوة)بمعنى أغلقها عن البصيرة فلا يُتصور غطاء القلب والسمع.والذي أُراه أنّ قراءة الرفع أرجح من جهة ما يتطلبه معنى السياق أولاً؛وأُرى أنّ بنية المصدر (غِشاوة)هي عقدة ذلك المعنى التي يجب الانطلاق منها لقراءة الآية.

إن فِعالة كما سبق مصدر يصاغ للدلالة على الحرفة والصناعة التي يستولي عليها الفرد.وقد صيغ على مثالها ما ليس بحرفة لأن الموصوف بها كأنها استولت عليه وصار يعرف بها، كالمستولي على الحرفة التي صار يعرف بها.

وغِشاوة:مصدر الفعل غَشِي يَغشى من الباب الرابع(كسر فتح)ومعناها الغطاء قال تعالى:{ فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ}(يس٩)وقَصْرُ الغطاء على البصر أليق بالمعنى.

فالنظر(فعل تؤديه العين)فهي موجودة لهذه الوظيفة وسميت الباصرة لارتباطها بالبصيرة.والغشاوة التي عليها تعطلها،وكأنّ عين هذا الصنف من الناس لا رؤية لها بمعنى عدم الاستفادة من وجودها،وكأنّها غير موجودة لغياب البصيرة فعبر بـ(يبصرون).

فجعل هذا(لابصيرة)وكان بمثابة العمل الذي استولى عليها أبدا لابتعادها عن الحق والهدى ورؤيته بمعنى أن صاحبها يبصر من غير بصيرة أبدا .فجيء به على وزن (فِعالة) ونُزِّلت منزلة ما هو صنعة وبسبب الغشاوة ختم على قلبه وعلى سمعه بعدم الهداية؛لأنّ الغشاوة هي الغطاء المشتمل على العين الناظرة الفاحصة فليس كل باصر بناظر وليس كل ناظر بباصر.ولذلك جاء الختم على موطن التعقل وهو الفؤاد؛لأنّ الغشاوة هي الغطاء المشتمل على العين الناظرة فاشتملت على ما يكون امتدادها وهو الفؤاد؛والعرب تستعمل فِعالة لكل ما كان مشتملا على الشيء كالعِمامة ونحوها(١٧٢)والمراد في الآية،من العين البصر؛لأنّه من البصيرة ولم يعبر بالنظر؛لأننا نرى أشياء كثيرة ولا نبصرها(لا نعقلها)ولكن ما نبصره تعقله.ومنه قوله تعالى:{وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ}(الاعراف١٩٨)فالبصر مؤد للإدراك والتعبير القرآني هنا دقيق،فلم يقل:فأغشيناهم فهم لاينظرون؛لأنّ معنى ذلك

الوقوف عند حدود العين،ولا يشتمل ذلك على غياب البصيرة،ولأنّ النظر فعل تؤديه العين فليس المقصود ما تؤديه العين بل المقصود ما تبصره النفس ويعقله القلب.

ولو جاء بالغشيان لم يعط هذا المعنى وأعطى معنى الحركة والهيجان.لكنّ غِشاوة أعطت المعنيين مما يكون تفسيراً للآية فإنّ من لا يرى الهداية والحق يحاربهما؛لأنّه مغطى عنهما والذي عليه غطاء يجهل ما يكون خارج الغطاء والإنسان عدوُ ما يجهل.ويحاربه ويكذبه ويوهنه وكل ذلك يكون من الحركة والهياج الذي في فعلان وليس من فعلان معنى الاستيلاء والدوام الذي في فعالة فاستحق التعبير فعالة وليس فعلان.

وعلل سيبويه مجيء نحو غِشاوة على فعالة كراهة توالي الواوات والضمَّات؛لأنّ قياسها فُعُول غُشُوٌّ نظير حياكة وزيادة وعيادة فإنّما جاءت على هذا البناء فراراً من فُعُول[١٧٣]وهذا تعليل صوتي لم يسمع عن العرب وإنما هو تحليل الخليل(١٧٥هـ) وسيبويه(١٨٠هـ).فقد جاء في كلام العرب لُزُوم،ورُود وجُحُوداً. وأفعالها لَزَمَ ووَرَدَ وجَحَدَ.فكان أن ينزع العرب إلى الاستخفاف في هذه المُثُل من فُعُول إلى غيرها من أبنية المصادر.

وأُرى أن المعنى بابٌ يقيس عليه العرب بناء الفاظهم عند إرادته فلما جعلوا فِعالة على هذا المعنى صاغوا له الألفاظ عند إرادته.ومن هنا يمكن الاطمئنان إلى معنى غِشاوة،بأنّ عمل العين غير البصر،ودلالته على الحركة والهياج زيادة على أنّ من يقع عليه غطاءٌ على حدّ الغشاوة من لفظ الآية يكون في لجةٍ وحيرةٍ لاكتشاف ما وراء الغطاء.ومثله كمثل الأعمى وما يعانيه من حركة مضطربة في مسيره وما يتبعها من آثارها النفسية. وعندما تقعد به همته عن الاكتشاف ينزع إلى إنكار الأخبار عما يجهله وتكذيبها.وهو حال من لم يهتد،فلا يبصرون تشبيه بالعمى إذ يتخبط من لايرى ومن لايبصر مما يتعلق بالبصيرة.

ومن هنا يظهر أنّ فَعَلان لا يكون غيرها من أبنية المصادر مكانها عندما يراد معناها ولا تنوب مكان غيرها عندما لايراد معناها وإنّما سعة العربية ودقة التصرف في استعمالها والتوسع فيه هو الذي يؤدي معاني كلّ لفظ ،وكلّ بنية بحسبها .

خاتمة البحث ونتائجه:

ظهر من دراسة عنوان هذا البحث أن للمصادر دلالة متباينة باختلاف أبنيتها ولا يستعمل البناء من بينها إلا لمعنى يقصد فيها وليس غيرها.

وتبيّن أنَّ الاستعمال الخطابي للمصادر ابلغ من التعبير بصيغة الفعل؛ذلك بأنّ الفعل يصرفُ الذهن إلى ثلاث جهات هي المكون الرئيس في ماهيته اللغوية(الحدث و الزمن والفاعل،وربما أشار إلى المفعول بحسب لونه من التعدي واللزوم)لكن التعبير بالمصدر يستقل بانصراف الذهن إلى تصور الحدث فحسب .

ثم يُزاد على المصدر إلفٌ نحو فعال،وإلفا ونونا نحو فعلان وألف وتاء التأنيث نحو فعالة،أو فعلة وذلك لايكون إلا لطلب زيادة المعنى على تصور الحدث .

والمعنى المطلوب تصوره زيادة على تصور الحدث نفسه قد يكون حالا،أو أمرا يصاحب الحدث . كالحركة والاضطراب،والدلالة على الصنعة والحرفة،أو الدلالة على أمر ثابت يكون سجيته كالرعونة والخشونة على زنة فعولة .

إنّ مصادر الأفعال متنوعة الأبنية الصرفية فقد يتحد مصدران أو أكثر في الدلالة على حدث واحد باختلاف وزنهما الصرفي،نحو:(فعل)فعال،فعالة،فعلان وغير ذلك وعند دراسة هذه الأبنية الصرفية توضّح أنّ(فعْل)المصدر باختلاف حركة الفاء يدل على الحدث المجرد عن قيد الزمن والفعالية .

فإذا أُريد المبالغة فيه بما يزيد على دلالة(فعْل)زِيد في بنائه نحو:خَسِرَ خَسْراً أو خُسْر أو خُسُراً، فإذا أريد زيادة دلالة على مبالغة قوبلت هذه الزيادة بزيادة حروفه مما يوحي بالمبالغة فقيل(خساراً) والألف حرف مدّ(لِيّن)يستغرق نطقه من الزمن ما يدل على المعنى المقصود من المبالغة من وقوع الخسارة،مما يترشح عند الباحث أنّ دلالته من حيثيات الصيغة الصرفية نفسها،مزيدا عليها دلالته اللغوية،ومستوى الأداء الصوتي من حيثيات الزمن المستغرق والصفات الصوتية التي مرجعها طبيعة الحروف.

فإنْ أريد زيادة معنى المبالغة بأن يشتمل على الحركة والاضطراب والهيجان على حد معنى الغليان . قيل فَعَلان ، خُسْران وعدوان ، ورضوان وهيجان وبهتان ، ونحوها.

يلحظ الصرفيون،والمدققون في المعاني،أنّ معنى الحركة والاضطراب الذي في (فعلان) مستنبط من بناء الكلمة ومعناها اللغوي كالقَفَزَان،والنَقَزَان، والنَزَوَان، والهَيَجَان،والنَفَيَان،والغَلَيَان.ثم جعل هذا المعنى واطراده في ما كان دالا على الحركة والتقلب والهياج فجعل في كلام العرب هذا المعنى لهذا الوزن حتى يكون ذلك بابا من المعنى يقاس عليه في صياغة الألفاظ المراد الدلالة فيها عليه .

وقد تبين في ضوء استقراء(فعلان)بأنواعه الثلاثة بحسب حركة(الفاء والعين) قد جاء على أنماط عدة.وفيما يأتي ذكرها بحسب ورودها في الخطاب القرآني :

١- جاء (فَعلان)أو(فُعْلان)أو(فِعْلان) وحده من دون مجيء ما يشاركه من المصادر الأخرى بأنها مصادر فعل واحد ومادة لغوية واحدة،كالقُرْآن،والبُهْتان، والرِضوان والشنآن.

٢-جاء فعلان بأنواعه يشاركه مصادر أخر في كونها جميعا مصدر لفعل واحد.كالعدوان والعَداوة،والعدو،والحسبان وحساب،والغفران والمغفرة وغير ذلك.

٣- يطرد معنى الحركة والتقلب والهيجان في البنية الصرفية سواء في ذلك أكانت المادة اللغوية له دالة على المعنى أم لا ؟كالبُهتان،والرِضوان،والقُرآن، والشَنآن ونحوهما .

٤- هنالك مصادر تأتي على فعلان وأنواعه وتأتي على غيره من أبنية المصادر فذُكر (فَعْلٌ) المصدر من دون فعلان ولكنه ذُكرَ مقرونا لوصف يدل على إرادة معنى فعلان نحو: (غلي) و(سيل) و(هجر) وكان السبب في ذلك عدم إرادة جميع ما في فعلان بل إرادة جزء

من دلالة فعلان فكان الوصف المقرون به المصدر غلي أو سيل، يدل على ذلك القدر ويغني عن استعمال فعلان في معناه المقصود.

واتضح جليا في ضوء هذه الدراسة أن المعنى الصرفي عامل رئيس في تفسير الآية وتحقيق معناها؛لأن القرآن نزل بلغة العرب، وهذا المعنى الصرفي هو معنى أبنية لغة العرب وحقه أن يكون المفتتح إلى تفسير الآية ودخول جوها ، وتطلُّع ظلالها وهو ما رمى إليه هذا البحث.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين النجف الأشرف الباحث ٦محرم١٤٣٠ هـ ٢ /٢٠٠٩/١.

هوامش البحث

١. ظ:الكتاب١:٢(بولاق)،المقتضب ٣: ٦٨ ،وشرح الكافية،الاستربادي ٣ : ٤٦٩.

٢. ظ:الإنصاف في مسائل الخلاف ١: ٢٣٥،المهذب في علم التصريف ٢٢٣ ــ٢٢٦.

٣. المهذب في علم التصريف ٢٢٦ ،ظ:تصريف الأسماء ٤٤.

٤. ظ:المهذب في علم التصريف ٢٣٠ ــ ٢٣٨.

٥. ظ: الاقتراح في علم أصول النحو ٧١،المزهر ٢:٨٣،المهذب في علم التصريف ٢٢٨ .

٦. الاقتراح في علم أصول النحو٧١.وفي رأي الفارسي ظ:الاقتراح نفسه،وفي رأي ابن جني في ضربب،ومضارع الفعل(عار) وتعريف(أمس) ظ:الخصائص١: ٣٦٠،٢٢٢،١٥٣-٣٦١،٣٨٨،٣٩١،

٧. ظ: شرح التسهيل،ابن مالك،٢: ٣٩٦.

٨. ظ: النحو الوافي ، عباس حسن،٣: ٢٥٨- ٢٥٩، تصريف الأسماء،محمد الطنطاوي،٨٧-٨٩، شذا العرف٧٤ ، الصرف الواضح ١٦٣،١٥٨، التطبيق الصرفي، عبده الراجحي ،٧٥، المعجم المفصل في علم الصرف ٥٦٩- ٥٧٠.

٩. ظ: همع الهوامع ٢: ١٢٤، ٤١٣.

١٠. معاني القرآن،الأخفش،١: ١٨٤،ظ: معاني القرآن،الزجاج،١: ٢٩٠.

١١. معاني القرآن،الزجاج،١: ٢٩٠.

١٢. ظ : جامع البيان،الطبري،٢: ٣٥٥،الكشاف ٢: ٢٥٢،الدر المصون ٤: ٣٠٦.

١٣. الكتاب٢١٨:٢(بولاق)،ظ:الأصول ٣: ٨٩، ٩٢،المقرب،ابن عصفور،٢: ١٣٠.

١٤. ظ:الخصائص ١ : ٥٥ ،فقه اللغة،للثعالبي،٣٦٥.

١٥. ظ: مسائل لغوية١١١- ١١٢.

١٦. الدكتورخليل بنيان الحسون:هو أستاذنا العلامة المحفوظ،استاذ الدراسات اللغوية والنحوية والقرآنية العليا في كلية التربية الأولى/ابن رشد في جامعة بغداد.وتعليقه المذكور

كتبه على متن هذه الدراسة وهو يراجعها في قراءة أولى للضبط العلمي والموضوعي في عام ٢٠٠٩،وفي بيان هذه المثل،ظ:شرح القصيدة الكافية في التصريف، السيوطي،٤٧.

١٧. ظ: تهذيب ٦: ١٤،٢٢٩: ٨٣- ٨٤،تاج اللغة وصحاح العربية ٢: ٥٤١،الكشاف٢: ٣٧٧،مختار الصحاح ٦٣٨.

١٨. الخصائص ١ : ٥٠٥.

١٩. ظ:المنصف(شرح كتاب التصريف للمازني)٢ : ٦ .

٢٠. المصدر نفسه ٢ :٦ ــ ٧.

٢١. ظ:المقتضب ٣ : ٦٨ ،نحو القرآن ٦٨ ــ ٦٩.

٢٢. ظ:المزهر ٢ :٩٦

٢٣. الكتاب٢١٨:٢(بولاق)،ظ:٢١٤ منه،وشرح الشافية،الاستربادي١٥١:١ ــ١٥٤.

٢٤. الديوان ٦٥.

٢٥. ظ:الخصائص ١ : ١٥٣ ،٣٥٦ ــ ٣٥٨ ،٣٦٥ ،٣٦٧ .

٢٦. المصدر نفسه ٢ : ٣٨٢ ،ظ:٣٨٠ ــ ٣٨٤ .

٢٧. الديوان ١ : ١١٠،وله في هذا المعنى أبيات رائعة ظ:١ :١٠٦ .

٢٨. الخصائص ١ : ٣٦٠ ــ٣٦١ ،ظ:٣٥٩ ــ ٣٦١ .

٢٩. الكتاب ٢ : ٢١٨ ،ظ:شرح الكافية،ابن مالك ٤ : ٢٢٢٦ .

٣٠. ظ :المحيط في اللغة،الصاحب بن عباد،٣: ٣٥٧،المخصص لابن سيده١٢: ١٢٩،تاج اللغة وصحاح العربية٤: ١٤٤٨،أساس البلاغة ٢: ٣٥٦.

٣١. ظ:العين١٣٩:٢،المحيط في اللغة،الصاحب بن عباد،٢٤٠:٢،تاج اللغة وصحاح العربية١: ٥٧١ ،٢: ٦٠٦ ، ٦: ٢٤٨٦،٢٣٥٤، ٢٥٣٦،القاموس المحيط١٤٣،٩٧، ٣١٩،الدرّ المصون ٦: ٤٦٢،شرح الشافية،الاستربادي،١ : ١١١،والبيت في خزانة الأدب للبغدادي(مطبوع بحاشية شرح الشافية للرضي) .

٣٢. ظ:المنصف١٨٠:١-١٨٢،المستدرك على معجماتنا ٨-٢٧،فلسفة المجاز١٣١-١٣٣.

٣٣. ظ: العين ٣: ٢٢٣،تهذيب اللغة ٥: ٤٢،تاج اللغة وصحاح العربية ٣: ٩٦،لسان العرب ٩: ٨٤٨.

٣٤. ظ : المعجم المفصل في علم الصرف ٥٥٢- ٥٥٣.

٣٥. المحتسب ١: ١٣٧- ١٣٨.

٣٦. الكتاب ٢ : ٢١٨،ظ:الأصول ٣ : ٩٣.

٣٧. الخصائص ١ : ١٨٢ ،ظ:٢٣٧ ،٢٥٣ .

٣٨. الكتاب ١ : ٢١٨ ،ظ:الهمع ٢ : ١٦٧.

٣٩. القاموس المحيط ٣٥٩،ظ:تهذيب اللغة ٧ :١٦٢.فالفعل،إذا،على بابين الرابع(كسر فتح)،وعلى الثاني(فتح كسر)، وأراهما فصيحين لوروده على الباب الرابع في لغة القرآن،وباللغتين في كلام العرب.

٤٠. القاموس المحيط ٥٤،وهو من الباب الثالث والرابع على كلامه قال:شنأه،كمنع وسمع،شَنْئا،وشنأة وشَنْآنا، وشَنَآنا. ظ:أمالي الزجاجي ٧٥.

٤١. الكتاب ٢ :٢١٨ ظ:٢١٤.(بولاق) .

٤٢. شرح السيرافي ٢: ٢١٨ (مطبوع بهامش الكتاب)(بولاق).

٤٣. الكتاب ٢ : ٢١٨،ظ: تهذيب اللغة ١٥: ١٥٨،تاج اللغة وصحاح العربية ١: ٢٣١.

٤٤. شرح المعلقات٩٢،قال الزوزني في شرحه:الفنان اسم جبل لبني أسد.والنفيان:ما تطاير من قطر المطر وقطر الدلو ومن الرمل عند الوطء ومن الصوف عند النفش وغير ذلك.ظ:شرح الزوزني ٣٤ .

٤٥. ديوان الحماسة ١ : ٣٦٩ .

٤٦. البيان والتبيين١: ٢٣٤،ظ:مثلها في٣: ١٢٤، ٢ : ٢٧٢،الكامل في اللغة والأدب١ :٢٩٨في مجيء هذه الصيغة في كلام العرب دالة على الحركة بالغليان .

٤٧. الديوان ١ : ١٠٩ .

٤٨. معاني القرآن،الفراء،٣: ٥٢.

٤٩. الكتاب ٢ : ٢١٨ ،ظ:شرح الكافية،ابن مالك ٤ : ٢٢٢٦ .

٥٠. الأبيات منسوبة لأبي القمقام الأسدي،ولعروة بن حزام صاحب عفراء،ظ:أمالي الزجاجي ١٣٣.

٥١. ظ: تهذيب اللغة ٨: ٣١١،أمالي الزجاجي ٣٥، ١٦٦.

٥٢. تهذيب اللغة ٩: ١٢٤،تاج اللغة وصحاح العربية ١ : ١٩٨– ١٩٩.

٥٣. ظ: تهذيب اللغة ٧: ١٦٢،تاج اللغة وصحاح العربية٢: ٦٤٥ .

٥٤. شرح المفصل ٧ : ١٥٦،وفي تفصيل ذلك وبيان مسائله ظ: الخصائص ١ : ١٠٤– ١٠٥.

٥٥. الكتاب ٢ : ٢٢٠ ،ظ: ٢١٥ ،٢١٦ ،٢١٨ ،٢٢١ وغيرها.

٥٦. شرح الكافية ١ : ٦٦ ،ظ: ٧٠.

٥٧. المصدر نفسه ٢ : ٢٢٠ ،ظ:شرح الشافية،الرضي الاستربادي،١ : ٦٦.

٥٨. الخصائص ١ : ٣٦٧،ظ: ٣٦٠– ٣٦٦

٥٩. ظ: من أسرار اللغة ٣٩ –٤٧ ،٤٩ ،١١٩،أوزان الفعل ومعانيه ٤١،٤٣ ،٤٧.

٦٠. شرح المعلقات ١٢٧ .

٦١. ديوان الحماسة ٢ : ١٨٢ .

٦٢. لسان العرب ٤ : ١٣٦ (خطر)

٦٣. ظ:شرح الشافية،الاستربادي،١ :١٥١، ١٥٦ .

٦٤. ظ: معترك الأقران ١ : ١٣٣ – ١٣٤ ، ٢٢٨.

٦٥. معجم مقاييس اللغة ٣ :٢١٧ والقاموس المحيط ١ : ١٢٦.

٦٦. الحجة في القراءات السبع،ابن خالويه، ١٢٨،الحجة للقراء السبعة،أبو علي الفارسي،٤: ١٩٥– ١٩٦.

٦٧. ظ: جامع البيان،الطبري، ٦ : ٦٤ –٦٥ ،١٤١ ،الدر المصون٤: ١٨٩– ١٩٢،تاج العروس ١ : ٢٨٥.

٦٨. الأمالي ٧٥ .

٦٩. تاج العروس ١ : ٢٨٥ –٢٨٦.والسفاقسي هو أبو حفص عمر بن محمد بن إبراهيم البكري السفاقسي المتكلم لقيه السلفي وأنشده وقال: كان من أهل الأدب وله بالكلام أنس تامٌ وبالطب انتقل إلى مصر وأقام بها إلى أنْ توفي في شهر ربيع الأول سنة(٥٠٥هـ)ينسب إلى سَفَاقُسُ: بفتح أوله وبعد الألف قاف وآخره سين مهملة. مدينة من نواحي إفريقية جُل غلاتها الزيتون وهي على ضفّة الساحل ذات سور،وبها أسواق كثيرة ومساجد وجامع(ظ:معجم البلدان تحت عنوان سَفاقس).

٧٠. المصدر نفسه ،ظ: معاني الفراء ١ : ١٢٨ .

٧١. معجم غريب القرآن٢٧ ،١٠٧ .

٧٢. معاني القرآن،الكسائي،١٢٣،إعراب القرآن،النحاس،١: ٨،الكشاف١: ٦٣٧،إملاء العكبري١: ٢٠٦،البحر المحيط ٣ :٤١٠.

٧٣. أصول علم النفس ١١ –١٢، ظ:مجمع البيان ٣ :٢٦١ –٢٦٣ ،٢٦٧.

٧٤. معجم مقاييس اللغة ٢ : ٤٠٢،ظ: القاموس المحيط ٤: ٤٨٤.

٧٥. ظ: جامع البيان،الطبري، ٣ : ٢٠٦ ، ٦: ١١٢.

٧٦. الكشاف ١ : ٦٥١.

٧٧. معجم مقاييس اللغة٥ :٧٩،ظ:تاج العروس١: ٣٦٤،دراسات لأسلوب القرآن الكريم،عبد الخالق عضيمة، القسم٢، ج٢: ٥٠٤.

٧٨. القاموس المحيط ١ : ١٣٦.

٧٩. معجم مقاييس اللغة ١ : ٣٠٧

٨٠. ظ: المثلث ، ٢ : ٤٥٥.

٨١. معاني القرآن،الكسائي، ١١٩.

٨٢. ظ: معاني القرآن ١١٩.

٨٣. ظ.جامع البيان،الطبري،٥ : ٢٧٤،والكشاف١ :٥٩٧، ٦٢٠ .

٨٤. ظ.جامع البيان،الطبري،٤: ٣١٣ – ٣١٤ .

٨٥. ظ.الكشاف١ :٥٢٣.

٨٦. اللسان١: ٥١٣ (بهت).

٨٧. ظ: إعراب القرآن،للنحاس، ١ : ٣٢٣ .

٨٨. معجم مقاييس اللغة٣ :٤١٢ .

٨٩. ظ:الأفعال،لابن القوطية،٣٢٠،والقاموس المحيط١٢٠٠،ومن الجدير بالذكر تفسير كنية ابن القوطية(أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز بن إبراهيم الأندلسي القرطبي اللغوي،توفي بقرطبة سنة٣٦٧،والقوطية بضم القاف،والياء المشددة بعد الطاء المكسورة نسبة إلى قوط بن حام بن نوح(عليه السلام)نسب إليه جده أبو بكر المذكور،وقوط أبو السودان والهند والسند.(ظ : الكنى والألقاب١: ٧٧).

٩٠. تهذيب اللغة٨ :١٦٧.

٩١. إملاء العكبري ٢: ٢٨٨.

٩٢. يراجع في مثال ذلك المائدة ٦٨،الكهف٨٠ .

٩٣. يراجع في مثال ذلك الانعام١١٠ ،الاعراف١٨٦ ،يونس١١ المؤمنون٥٧ .

٩٤. ظ:مجمع البيان٦ : ٣٧٥ .

٩٥. ظ: جامع البيان،الطبري، ١٥:٢، والكشاف ٢: ٦٩٢، وإعراب القرآن،النحـــاس، ٢: ٤٨٧.

٩٦. ظ:معاني الفراء ٢ : ٩٤، تهذيب اللغة ٧: ٤٦١.

٩٧. معجم مقاييس اللغة ٢: ١٢٢ ظ: القاموس المحيط ١١٧٥.

٩٨. ظ: جامع البيان،الطبري، ٢١ : ١٢ ، ظ: معاني الأبنية ٣١ .

٩٩. الكشاف ٣ : ٤٦٤ .

١٠٠.مجمع البيان ٨ : ٣٩ – ٤٠ .

١٠١.ظ: معجم مقاييس اللغة ٢ : ٥٩.

١٠٢.معجم غريب القرآن ٣٥ .

١٠٣.ظ: فيزياء الجو:١٩١ (الفصل الخامس) وأيضا ٢: ٣٣١ (الفصل السادس) .

١٠٤.ظ:معجم غريب القرآن ٣٥ و ظ: جامع البيان،الطبري، ١٣ :١٣٨ ١٤٠وظ: الكشاف ٢ : ٤٩٤ .

١٠٥.ظ: معجم مقاييس اللغة ٢ : ٥٩،تاج العروس ٢ : ٢٦٧ ،والقاموس المحيط ١ : ١٨٢ .

١٠٦.معجم مقاييس اللغة ٤ : ٢٤٩،ظ : القاموس المحيط ٤١: ٢٥١ .

١٠٧.ظ:اللسان٩٢:٩(عدا) ومجمع البحرين الطريحي،١: ٢٨٤ ،ومجمع البيان ٣: ٣ ٦٩ .

١٠٨.الكشاف ١:١٩٤ ، مجمع البيان ٣ : ٣٧٣ .

١٠٩.جامع البيان،الطبري، ٢٨:١٣،ظ : الحجة في القراءات السبع ٣٤٣ .

١١٠.الكشاف ٤ : ٤٩٠ .

١١١.مجمع البيان ٩: ٤١٥.

١١٢.ظ: مجمع البيان ٧ : ٤٣٢ .

١١٣.جامع البيان،الطبري، ٢ : ١٩٥.

١١٤.ديوان الحماسة١:٦.واسم الفند شهل بن شيبان بن ربيعة شاعر جاهلي وأحد فرسان ربيعة المعدودين.

١١٥.ظ:معاني القرآن، الأخفش،٢ : ١٦١.

١١٦.الكشاف ٢:١٠٩،ظ:مجمع البحرين٤ :١٣١.

١١٧.معجم البيان ٥ : ٢٢٢.

١١٨.ظ: إعراب القرآن ، النحاس ، ٢ : ٩٥ و ظ : إملاء ما منّ به الرحمن ١ : ٢٥٧ و ظ : مجمع البيان ٤ : ١٣١.

١١٩.الكتاب٢ : ٢٢٣ و ظ: ٢٢٣ ــ٢٢٦ . (بولاق) .

١٢٠.الكتاب٢ :٢٢٠(بولاق).

١٢١.ظ: تهذيب اللغة ٨ : ١٧٨ ،١٨٠ واللسان ١٠:٦٢ – ٦٣،وأصله غروتْ ولما كانت تاء التأنيث ساكنة حذف حرف اللين الساكن منعا لاجتماع ساكنين،ولعدم إمكان حذف التاء لذهاب القصد معها فصار غرتْ،وبقيت الواو مع تاء الفاعل غروت لتحرك التاء وعدم اجتماع ساكنين.

١٢٢.ظ: جامع البيان،الطبري، ٦: ١٥٩، والكشاف ١: ٦٥١.

١٢٣.ظ.اللسان٩ : ٩٥.

١٢٤.عيار الشعر٥ – ٦ .

١٢٥.المصدر نفسه ١١.

١٢٦.المنصف٢:١ .

١٢٧.معجم مقاييس اللغة ٢ : ١٢٨ .

١٢٨.ظ: القاموس المحيط ٢: ٣٠،تاج العروس١١ : ١٦٣.

١٢٩.الكتاب ٢: ٢٢٣،(بولاق).

١٣٠.الكتاب٢ :٢٢٥(بولاق).

١٣١.ظ: القاموس المحيط ٢٧٥(طبعة دار إحياء التراث العربي الثانية ٢٠٠٣).

١٣٢.ظ: المصدر نفسه٣٥٩.

١٣٣.معجم مقاييس اللغة ٤ : ٣٨٥،ظ: تاج العروس ١٣ : ٢٤٧ و ظ : القاموس المحيط ٢ : ١٤٧.

١٣٤.ظ : معجم ألفاظ القران ٥٠٢ .

١٣٥.ظ: معجم مقاييس اللغة ٤: ٣٣٥.

١٣٦.معاني القرآن ألكسائي ٢٣٣ .

١٣٧.ظ : جامع البيان،الطبري، ٢٦ : ٢٨٩ ، والكشاف ٤ : ٣١٣ .

١٣٨.ظ : الكشاف ٤ : ٣١٣ ، وإملاء ما من به الرحمن ٢ : ٢٣٥ .

١٣٩.معاني القرآن،الكسائي،٨٥ .

١٤٠.معجم مقاييس اللغة ٥ :١٩١،القاموس المحيط ٢:١٨٠،تاج العروس ١٤:٥ .

١٤١.شرح المعلقات، للشنقيطي،١٢٩ شرح المعلقات للزوزني ٩٠ .

١٤٢.المصدر نفسه. ١٦٧ ،والزوزني ١٢٨.

١٤٣.معجم مقاييس اللغة ٤ : ٤٩٣ .

١٤٤.الكشاف ٢ : ٢٠٤،ظ :٢١١،جامع البيان،الطبري،٩: ٢٢٤ ،١٠ : ٨ ، وإعراب النحاس ٢ : ١٩٤ ، مجمع البيان ٧ : ٢٥٤، ٤ : ٤٥٦ – ٤٦٩ .

١٤٥.مجمع البيان ٤ : ٣٣٩ اللسان ١ : ٢٢٢ – ٢٢٣.

١٤٦.الميزان١: ٧٥ .

١٤٧.الكشاف ٢ : ١٣٨ .

١٤٨.الميزان ١ : ٧٤ .

١٤٩.ديوانه ٣٣٦ .

١٥٠.ظ : في قصة ذلك،الكشاف ٢ : ١٣٨.

١٥١.تهذيب اللغة ٤ : ٣٣٨.

١٥٢.الكشاف ٤ : ٦٤٠ .

١٥٣.التهذيب ٤ : ٣٣٨.

١٥٤.ظ : المعنى الصرفي وظاهرة التأويل ٣٦.

١٥٥.ظ: نحو القرآن ٦٨ – ٧٥.

١٥٦.ظ: الأفعال لابن القوطية ٢٤٢، تهذيب اللغة ٧: ٤٦١.

١٥٧.ظ: الأفعال لابن القوطية ٢٧، القاموس المحيط ٤٦٠. (طبعة دار إحياء التراث العربي الثانية ٢٠٠٣) .

١٥٨.الكشاف ٤ : ٦٤١.

١٥٩.الكشاف ٤ : ٢٨٤ ،ظ: معجم غريب القرآن ٢٨٢،١٩٧.

١٦٠.الكشاف٤ :٢٨٤.

١٦١.شرح المعلقات،الشنقيطي ٨٧ ،ظ.شرح المعلقات للزوزني ٢٧.

١٦٢.معجم غريب القرآن ١٣٥،ظ.المثلث٢:٣٠٤،لسان العرب ٦:٤٥٧،٩:١٧٢ .

١٦٣.ظ :جامع البيان،الطبري،٢٢:٧٨،تهذيب اللغة ٢: ٣٩٠،الكشاف ٣ : ٥٨٥.

١٦٤.ظ.المهذب في علم التصريف ٢٣٥.

١٦٥.الكتاب ٢ : ٢١٦ –٢١٧(بولاق) .

١٦٦.المصدر نفسه ٢ : ٢١٧.

١٦٧.ظ:إعراب القرآن،النحاس ١ : ٢٥،إملاء ما من به الرحمن ١ : ١٥.

١٦٨.ظ:الحجة في القراءات السبع ٦٧،ونحو القراء الكوفيين ٢٩٦.

١٦٩.إملاء ما من به الرحمن ١ : ١٥.

١٧٠.اللسان ٤ : ٢٤ .

١٧١.يراجع في مثاله:النساء١٥٥،التوبة٨٧،٩٣،الاعراف١٠٠،١٠١،يونس٧٤،الروم٥٩،وغافر٣٥،المنافقون ٣.

١٧٢.ظ:إعراب القرآن،النحاس ١ : ٢٥،واللسان ١٠ : ٧٦.

١٧٣.ظ: الكتاب ٢: ٢٣١– ٢٣٢

المصادر

القرآن الكريم خير ما نبدأ به.

أساس البلاغة/ جار الله محمود الزمخشري؛تح.محمد باسل عيون السود.– بيروت:دار الكتب العلمية،١٩٩٨.

أصول علم النفس/أحمد عزت راجح.– مصر:المكتب المصري الحديث.

الأصول في النحو/أبن السراج؛تح.عبد الحسين الفتلي.– ط ٤ .– لبنان:مؤسسة الرسالة،١٩٩٩ .

إعراب القرآن/احمد بن محمد النحاس؛تح.محمد احمد قاسم.– بيروت:دار ومكتبة السلام،٢٠٠٤ .

أمالي الزجاجي/أبو القاسم الزجاجي؛تح.عبد السلام محمد هارون.–القاهرة:المؤسسة العربية الحديثة،١٣٨٢ هـ.

إملاء ما من به الرحمن/أبو البقاء العكبري؛تح.إبراهيم عطوة.– مصر:مصطفى البابي الحلبي،١٩٦١.

الإنصاف في مسائل الخلاف/أبو البركات الانباري؛تح.محمد محي الدين.– ط٤.– مصر:دار السعادة،١٩٦١.

أوزان الفعل ومعانيها/هاشم طه شلاش.– النجف الأشرف:مطبعة الآداب،١٩٧١.

البحر المحيط/أبو حيان الأندلسي.-القاهرة:مطبعة السعادة،١٣٢٨هـ.
البيان والتبيين/أبو عثمان الجاحظ؛تح.عبد السلام محمد هارون.- ط٥.- القاهرة:مكتبة الخانجي،١٩٨٥.
تاج العروس/مرتضى الزبيدي؛تح.عبد الكريم العزباوي.- الكوت:دار الهداية،١٩٦٧.
تصريف الاسماء/محمد الطنطاوي.- ط٥.- القاهرة:مطبعة وادي الملوك،١٩٥٥.
تهذيب اللغة/أبو منصور الأزهري؛تح.محمد عبد المنعم، وآخر.- القاهرة:الدار المصرية للتأليف والترجمة.- (سلسلة تراثنا).
جامع البيان في تفسير القرآن/أبو جعفر الطبري.- ط٢.- مصر:مصطفى البابي الحلبي،١٩٥٤.
الحجة في القراءات السبع/ابن خالويه؛اختيار أبي تمام الطائي؛شرح التبريزي.- بيروت:دار القلم.
الخصائص/ابن جني؛تح.عبد الحميد هنداوي.- ط٢.-بيروت:دار الكتب العلمية٢٠٠٣.
دراسات لأسلوب القرآن الكريم/عبد الخالق عضيمة.- القاهرة:دار الحديث.
ديوان الحماسة/اختيار أبي تمام الطائي؛شرح التبريزي،-بيروت:دار القلم.
ديوان الخنساء/ الخنساء٠ـــ ط ٥ ـــ بغداد: مكتبة الفرزدق للطباعة والنشر.
ديوان الشريف المرتضى/الشريف المرتضى؛تح.رشيد الصفار.- مصر: عيسى البابي الحلبي ،١٩٥٨.
شرح التسهيل/ابن مالك؛تح.عبد الرحمن السيد وزميله.- مصر:هجر للطباعة والنشر والتوزيع.
شرح الشافية/لرضي الدين الاستراباذي،تح.محمد محي الدين عبد الحميد والجماعة.ـــ بيروت :دار الكتب العلمية ١٩٨٢ .
شرح القصيدة الكافية في التصريف/دلال الدين السيوطي؛تح.ناصر حسين علي.- دمشق:المطبعة التعاونية،١٩٨٩
شرح كافية ابن الحاجب/ابن مالك ؛تح.عبد المنعم احمد هريدي .ـ مكة المكرمة : دار المأمون للتراث .
شرح كافية ابن الحاجب/رضي الدين الاستربادي ؛تح .أميل بديع يعقوب.ـ بيروت:دار الكتب العلمية '١٩٩٨ .
شرح المعلقات السبع /الحسين بن احمد الزوزني .ـ بغداد مكتبة النهضة.
شرح المعلقات العشر /احمد الشنقيطي.ـ بغداد :مكتبة النهضة ،١٩٨٨ .
شرح المفصل /أبو البقاء بن يعيش.ـ بيروت : عالم الكتب .

عيار الشعر ابن طباطبا العلوي؛تح طه الحاجري .ـــ القاهرة :المكتبة التجارية الكبرى ،١٩٥٦ .

فقه اللغة وسر العربية/أبو منصور الثعالبي،تح .مصطفى السقا .ـــ مصطفى البابي الحلبي ،١٩٧٢ .

فلسفة المجاز بين البلاغة العربية والفكر الحديث/الدكتور لطفي عبد البديع.- القاهرة:مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٧

القاموس المحيط /مجد الدين الفيروز آبادي ،إعداد محمد المرعشلي ـــ ط٢.ـــ بيروت :دار أحياء التراث العربي،٢٠٠٣.

الكامل في اللغة والأدب/أبو العباس المبرد.ـــ بيروت :مؤسسة المعارف،١٩٨٥ .

الكامل في اللغة والأدب/أبو العباس المبرد،تح،يحيى مراد.ـــالقاهرة:مؤسسة المنار،٢٠٠٤.

الكتاب /سيبويه .ـــ بولاق : المطبعة الكبرى الأميرية،١٣١٦.

كتاب الأفعال/ محمد بن عمر المعروف بابن القوطية، ضبطه إبراهيم شمس الدين. ـــــ بيروت: دار الكتب العلمية ،٢٠٠٣

الكشاف /أبو القاسم الزمخشري ؛تح .ط٣ عبد الرزاق المهدي .ـــبيروت:دار أحياء التراث العربي ،٢٠٠١.

لسان العرب /ابن منظور.تح ،يوسف خياط .ـــبيروت دار لسان العرب

المثلث /البطليوسي،تح.صلاح مهدي علي الفرطوسي .ـــ بغداد :دار الرشيد ،١٩٨١

مجمع البيان في تفسير القرآن/الفضل بن الحسن الطبرسي ،تح،لجنة من العلماء .ـــ بيروت:مؤسسة الأعلمي ١٩٩٥.

المحيط في اللغة/الصاحب بن عباد . – نسخ وترتيب وتنسيق مكتبة مشكاة الاسلامية (نسخة الكترونية)والكتاب متاح على موقع الوراق http://www.alwarraq.com[الكتـــاب مرقم آليا غير موافق للمطبوع](المكتبة الشاملة)..

المزهر في علوم اللغة/جلال الدين السيوطي.تح،محمد احمد جاد المولى .ـــ بيروت:دار الفكر.

مسائل لغوية /محمد حسن آل ياسين .ـــبغداد :المجمع العلمي العراقي ،١٩٩٢.

المستدرك على معجماتنا/ الدكتور خليل بنيان الحسون.- بيروت:دار الكتب العلمية .

معاني الأبنية في العربية/ د.فاضل السامرائي٠ـــــ الكويت: جامعة الكويت،١٩٨١.

معاني القرآن/ الأخفش الأوسط؛تح فائز فارس ٠ ـــــ الكويت، ١٩٨١.

معاني القرآن/أبو زكريا الفراء ،تح.ط٢ احمد يوسف.ـــ مصر :الهيئة المصرية العامة ،١٩٨٠.

معاني القرآن /علي بن حمزة الكسائي ،جمع عيسى شحاتة عيسى .ـــ القاهرة :دار قباء للطباعة،١٩٩٨.

معترك الأقران/جلال الدين السيوطي ،تح علي محمد البجاوي .ـــ بيروت :دار الفكر ١٩٦٩ .

معجم غريب القرآن /محمد فؤاد عبد الباقي .

المعنى الصرفي وظاهرة التأويل في الخطاب القرآني/د. رياض كريم البديري. – جامعة الكوفة(مجلة كلية الفقه،ع ٧ ،لسنة ٢٠٠٩).

المقتضب/أبو العباس المبرد. تح ،ط٢عبد الخالق عظيمة.ـــالقاهرة:دار الكتاب المصري ،١٣٩٩هـــ.

المقرّب/ ابن عصفور.تح أحمد عبد الستار الجواري وزميله.– مصر. ١٩٧٢.

من أسرار اللغة /إبراهيم انيس .ـــ ط٨.ـــ القاهرة :مكتبة الانجو المصرية '٢٠٠٣.

المنصف (شرح كتاب التصريف للمازني) /أبو الفتح عثمان بن جني ،١٩٥٤.

المهذب في علم الصرف /هاشم طه شلاش وزميلاه .ـــ بغداد:بيت الحكمة.

نحو القرآن/احمد عبد الستار الجواري.ـــ بغداد:مطبعات المجمع العلمي العراقي ،١٩٧٤ .

همع الهوامع /جلال الدين السيوطي .ـــ بيروت :دار المعرفة

الميزان في تفسير القرآن /محمد حسن الطباطبائي إيران مؤسسة الإمام المنتظر (ع) ٢٠٠٤